الحس النقدي والبلاغي

عند خلفاء العصر العباسي الأول

"دراسة فنية"

دكتورة

جواهر بنت عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل الشيخ

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية
بكلية التربية للبنات
بالمملكة العربية السعودية

دور خلفاء العصر العباسي الأول
في نمو الحياة الفكرية والعلمية والأدبية في عصرهم

يعد العصر العباسي الأول – دون أدنى ريب – العصر الذهبي الذي بلغ فيه المسلمون من العمران والسلطان والفكر والأدب ما لم يبلغوه من قبل ولا من بعد وكل الدلائل مجتمعة تشير إلى صحة هذا الرأي وتدمغه بالبرهان القاطع ، ولمَ لا يكون الأمر كذلك ؟ وقد تجمعت له كل وسائل الازدهار والنبوغ والنمو المضطرد .

وبما أن الرعية تدين بدين راعيها ، فإنه لا يستطيع منكر أن يجحد فضل خلفاء ذلك العصر من بني العباس ، الذين ينتسبون للعباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله صلى الله علية وسلم،[1] وهذا كان من أعظم دعائم إقامة دولتهم ومؤازرة الناس لهم حيث أنهم ينتسبون لآل البيت .

وحكام هذا العصر كانوا تسعة ، أولهم السفاح هو محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الذي حكم من سنة ١٣٢- ١٣٦هـ ، وقامت الدولة العباسية على يديه بحدّ السيف والقوة بمؤازرة المؤيدين لهذه الأسرة من فرس وعرب. والخليفة الثاني هو أخوه أبو جعفر المنصور الذي تولى الخلافة من سنة١٣٦- ١٥٨ هـ وكان هو المؤسس الحقيقي لدولة بني العباس . ثم تولى بعده ابنه محمد المهدي الذي تولى من بعد وفاة والده من عام ١٥٨ -١٦٩ هـ ، ثم خلفه ابنه موسى الهادي من بداية ١٦٩ – ١٧٠ هـ ، وكان أقصر بني العباس في مدة حكمه .

---

[1] هو عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ، عمّ رسول الله علية وسلم ، ويكنى أبا الفضل ، وأمه فتيلة بنت جناب أول عربية كست الكعبة الحرير والديباج ، وهو أسنّ من رسول الله بحوالي سنتين ، وكان في الجاهلية رئيساً في قريش وإليه كانت عمارة المسجد و السقاية ، وشهد مع رسول الله بيعة العقبة ، وقيل أنه أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه ، ثم هاجر إلى النبي وشهد معه فتح مكة ، وكان أجود قريش وأوصلها ، استسقى عمر بن الخطاب به عام الرمادة والقحط فسقاهم الله تعالى به ، كان له عشرة ذكور منهم عبد الله بن العباس ، توفي بالمدينة سنة ٣٢هـ «أنظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة : لابن الأثير-٣ /٦٢ ، والإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر – ٣٠/٤ ، حرف العين » .

ثم بويع بعده أخوه القوي هارون الرشيد الذي تولى الخلافة مدة تفوق غيره من خلفاء العصر الأول من سنة ١٧٠ ـ ١٩٣هـ . ثم بويع بعده ابنه محمد الأمين ابن زبيده من عام ١٩٣ ـ ١٩٨هـ حيث توفي مقتولا في الفتنة بينه و بين أخيه عبد الله المأمون الذي تولى بعده من سنه ١٩٨ ـ ٢١٨هـ وقد شابه أباه في حرصه على الأدب والعلم والفكر . ثم تولى بعد وفاته أخوه أبو إسحاق المعتصم من ٢٨١ـ ٢٢٧هـ وكان يسمى المثمّن حيث أنه ثامن الخلفاء العباسين ، و كانت خلافته ثماني سنين وثماني أشهر ، ورزق من الولد ثمانية ومن الإناث ثمانياً ، وغزا ثمان غزوات أشهرها غزوة عموريه . ثم بعد وفاته بويع ابنه هارون الواثق الذي حكم من سنة ٢٢٧ حتى ٢٣٢هـ . وبموته ينتهي العصر العباسي الأول .[1]

***

ولقد كانت أيلولة الخلافة إلى هؤلاء الأشخاص من الأحداث العظمى التي تحوّل لها مجرى التاريخ تحوّلاً ملحوظاً عاد على الأدب العربي باليُمن و البركة والطموح والتطلّع ، وأصبحت المقارنة بين ما وصل إليه من انتعاش وبين ما كان في سابق الزمان ، تدلنا دلالة صريحة على أن الحياة الجديدة التي أصبح يواجهها ويعيش في ظلالها حياة مملوءة بكل عناصر القوة إلى درجة أنه لا يقاس بها سابق ولا لاحق ، وتدلنا كذلك أنه لم يحظ بها اعتباطاً ولا بحكم المصادفة ، ولكنه وصل إليها بحكم تلك الأسباب العديدة التي توافرت له .[2]

لأن آي حركة علمية لا تنشأ فجأة تامة الخليقة و التكوين في زمن محدد ثابت، ولكنها تحتاج لفترة زمنية ليست بالقصيرة ، تتدرج في خلالها من محاولات جزئية فردية تتعثر حينا وتتقدم حينا آخر ، إلى حركة عامة جماعية ، ليشترك فيها أناس كثيرون ، يؤيدهم في ذلك أصحاب السلطة في الدولة ، وهذا التأييد يشدّ من

---

(١) انظر العقد الفريد : لابن عبد ربه ، ١٠٨/٥ـ ١١٧

(٢) انظر : تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول : إبراهيم أبو خشب ـ ص ٥٥ .

أزرهم ويعضد حركتهم فتندفع قدماً إلى الأمام ، كتلك التي حدثت في العصر العباسي الذي يعد بحق العصر الذي قامت فيه الحركة العلمية المنظمة التي تشرف عليها الدولة ، وتضع كل إمكانياتها في خدمتها .(٤)

لعل أول وأهم تلك الأمور هو أن الدولة العباسية قد قامت دعوتها على احترام جميع الطوائف والأجناس وجعلهم على قدم المساواة ، مما جعلهم يتنافسون في مجال نتاج العقول والأفكار . فنقلت كل أمة خزائن ثقافتها إلى العربية . فكان من أكبر الدواعي التي دفعت إلى ازدهار الحركتين العلمية والأدبية لهذا العصر الاتصال الخصب المثمر بين الثقافة العربية الخالصة وبين ثقافات الأمم المغلوبة المستعمرة وما طوي فيها من معارف وعلوم .

ونرى الخلفاء العباسيين منذ فاتحة عصرهم يعنون بهذا النقل عناية فائقة وينفقون عليه الأموال الطائلة ، وكأنهم لا يريدون أنّ يقف عند حدّ او غاية يتقدمهم في ذلك الخليفة المؤسس أبو جعفر المنصور الذي اهتم بنقل علوم الفلك والنجوم كما أنه أول خليفة ترجمت له الكتب من الأعجمية إلى العربية ومنها كتاب كليلة ودمنه كتاب السند هند من الهند ، وكتب أرسطو طاليس و أقليدس وغيرها الكثير من الكتب اليونانية و الرومنية و الفهلوية و الفارسية و السريانية . وأخرجت للناس(٥) فجمعوا بين حكم الهند والفرس وفلسفة ومنطق اليونان وعلومهم الطبية والرياضية وغيرها . فكان المنصور يبذل للعلماء و المترجمين الأموال الطائلة رغم حرصة الشديد على المال كما يروى عنه (٦)، ولكنه كان يعطي الجزيل و الخطير ما كان عطاؤه حزماً ، ويمنع الحقير اليسير ما كان إعطاؤه تضييعاً (٧).

---

(٤) انظر : التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية ق٣هـ: د. عثمان موافي - ص ١١٣ – ١١٤ .

(٥) مروج الذهب : للمسعودي – ٢٨٨/٤ .

(٦) تاريخ الخلفاء : للسيوطي – ص ٢٥٩ .

(٧) مروج الذهب : للمسعودي – ٣ /٢٨٨ .

كما نشطت الترجمة في عهد هارون الرشيد نشاطاً كبيراً . وكان مما أذكى جذوتها حينئذ إنشاء دار الحكمة ، وتوظيف طائفة كبيرة من المترجمين بها وجلب الكتب إليها من بلاد الروم ، وساهم في الترجمة كبير أطباء الرشيد ويدعى جبريل من بختيشوع حيث أضيفت لها كتب مترجمة مختلفة في الطب [٨]. وتبلغ هذه الموجة الجارفة للترجمة أبلغ غاياتها في عهد المأمون ، حيث حول دار الحكمة إلى ما يشبه المعهد العلمي الكبير الذي حرص على الترجمة حرصاً عظيماً ، ثم ألحق به " مرصداً فلكياً كبيراً " وألحق به مجموعة من علماء الفلك ، ومن ضمنهم العالم المشهور الخوارزمي الذي كان منقطعاً إلى خزانة الحكمة ، وألف العديد من الكتب الفلكية و التاريخية . [٩]

وهكذا حرص خلفاء بني العباس على الاستفادة من حضارة الأمم الأخرى التي انضوت تحت لواء الدولة العباسية في ظل راية الإسلام ، وصبت كلها في قوالب اللغة العربية لغة القرآن الكريم بفصاحتها وبلاغتها ، وكان هذا الأمر الأول من نوعه في دولة العروبة و الإسلام الذي جاء للناس كافة ، فكان أولئك الخلفاء يرون أهمية الاستفادة من حضارات الأمم التي انصهرت في بوتقة المسلمين وتمازجت معهم . ونلاحظ أن أكثر من فعل ذلك من الخلفاء العباسيين ثلاثة : هم أبو جعفر المنصور و هارون الرشيد و المأمون ، وذلك لدوافع عديدة أهمها عشقهم للعلم و المعرفة ، ومقدرتهم الثقافية و البلاغية ، إضافة إلى طول مدة حكمهم ، فكل واحد من هؤلاء الخلفاء الثلاثة حكم ما يزيد على العشرين عاماً بقليل ، أما باقي الخلفاء فكانت مدة حكمهم أقل من ذلك بكثير .

***

وليس معنى هذا أنهم أهملوا العلوم الإسلامية أو العربية ، بل إنهم أغدقوا عليها إغداقاً واسعاً ، حتى صار عصرهم يشار إليه بالبنان على أنه عصر نشأة العلوم

---

[٨] الفهرست : لابن النديم – ص ٨٢ .
[٩] المصدر السابق – ص ٣٨٣ .

كلها، يأتي في مقدمتها العلوم الفقهية و النحوية و الأدبية . ففي هذا العصر ((نشأت ودوّنت أكثر العلوم الإسلامية ، حيث شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير ، مثل موطأ الإمام مالك بالمدينة ، وابن جريج في مكة ، والأوزاعي بالشام ، وحماد بن سلمة بالبصره ، وسفيان الثوري بالكوفة ، كما صنّف ابن اسحاق المغازي ، وصنف أبو حنيفة الفقة و الرأي و اللغة ، و التاريخ وأيام الناس، وغيرها الكثير من العلوم))[10] بل لا يوجد علم من العلوم يخطر على بال أحد إلاّ وألفّ في العصر العباسي ، كظهور المذاهب الفقهية الأربعة ، وصحيح البخاري ومسلم ، و النحو لسيبويه ، وعلم العروض للخليل بن أحمد الفراهيدي [11] ، والمفضليات و الأصمعيات ، وغيرها من أمهات المصادر الثرية .

فالمظهر الأدبي الذي برز في العصر العباسي بروزاً عظيماً ، هو" التدوين " حيث كان الأدب العربي القديم قائماً على الرواية يتناقله الناس عن طريق المشافهة فحسب ، أما في العصر العباسي فغلب التدوين ، وجعل الرواة و العلماء يروون ما يسمعونه وما يخطر على بالهم عن طريق الكتابة بعد تحرّي ثبات الرواية و معاينتها وتنسيقها [12] . كل هذا وذاك بدافع تشجيع الخلفاء في ذلك العصر ودعمهم العلم والأدب وأهلهما ، و كان أول من سنّ ذلك وجعله تقليداً المهدي فإنه أكثر من مكافآته للعلماء كثرة جعلتهم يشدّون الرحال إليه من كل بلد ، واقتدى به في ذلك ابنه هارون الرشيد حيث كان يصل صلات مجزية مثل وصله الأصمعي بمائة ألف ، كما اتبع هديه ابنه عبد الله المأمون الذي كان فيضا لا ينقطع على الأدباء و العلماء والمتكلمين ، حتى قيل أنه كان يعطي وزن الكتاب ذهباً مثلاً بمثل [13].

***

---

(10) أنظر: تاريخ الخلفاء : السيوطي ــ ص ٢٦١ .

(11) أنظر: ضحى الإسلام : أحمد أمين ــ ٢ / ١٣ .

(12) أنظر: تاريخ الأدب العربي : الأعصر العباسية : عمر فروخ ــ ٢ /٤٦ .

(13) أنظر: العصر العباسي الأول : د.شوقي ضيف ــص ١٠٧ .

وكان من أهم أسباب نشاط حركة تسجيل التراث وتدوينه في مؤلفات ، و كثرة التأليف في علوم الإسلام و العربية ، وشيوع الكتب المترجمة ، هو استخدام"الورق" ، إذ أخذ يعمّ منذ مفتتح هذا العصر ، وكانوا قبل ذلك يكتبون في الجلود و القراطيس المصنوعة من ورق البردى ، ولكن العباسيين أنشأوا في عهد الرشيد مصنعاً ببغداد للورق ، فانتشرت الكتابة فيه لخفته وسهولة الخط عليه ، وغلبت على الكتابة في غيره من الوسائل القديمة ، وكان الإملاء أعلى مراتب التعليم ولكن لم تلبث أن ظهرت مصنفات عديدة واحتيج معها إلى النسخ ، فاتسعت بذلك صناعة الوراقة فهي فحلّ في ذلك العصر محل الطباعة الآن ، وقد مضى العلماء و الأدباء يفيدون منها ، فاتخذوا لأنفسهم ورّاقين ينقلون عنهم كتبهم ويذيعونها في الناس فأفادوا الأدب و العلم بذلك[١٤] .

ومما دفع لرواج الوراقة تنافس كثيرين على إقتناء الكتب واتخاذ " المكتبات " بدعم من الدولة العباسية الحريصة على العلم و المعرفة و الفكر و الأدب ، حيث أقام العباسيون منذ عصر الرشيد المكتبة الكبرى التي سميت " دار الحكمة "، ثم أخذ كثيرون من الأفراد يعنون باقتناء المكتبات الخاصة و العامة يقتنيها الخلفاء والأمراء و الأغنياء فيرتادها طلاب العلم و الأدب ، وكذلك فعل الورّاقون في دكاكينهم المملوءة بالكتب المترجمة و المؤلفة [١٥] .

كل ذلك جعل" المساجد " ساحات كبرى للعلم ، حيث لم تعد بيوتا للعبادة وحدها ، بل كانت أيضاً معاهد لتعليم الناشئة ، حيث يتحلقون حول أساتذتهم يكتبون ما يلقونه أو يملونه ، وكانت الحلقات متعددة فكل فرع من المعرفة له حلقته أو حلقاته الخاصه، فحلقة لفقيه وحلقة لمحدث وحلقة لقصّاص أو مفسّر وحلقة للغوي وحلقة لنحوي و حلقة لمتكلم ، وكانت حلقة الفقهاء من أكبر الحلقات إذ كان يقصدهم طلاب الفقه ومن يريدون أن يتولوا منصب القضاء أو الحسبة ، يليهم حلقة

---

[١٤] أنظر: ضحي الإسلام : أحمد أمين – ٢ / ٢٣ – ٢٤ .
[١٥] أنظر: موقف الشعر من الفن و الحياة في العصر العباسي : د. محمد زكي العشماوي – ص ٨٢ .

المتكلمين لما يجري فيها من مناظرات و محاورات بينهم وبين أصحاب الملل الأخرى ، وكل تلك الحلقات لم يكن يشترط للحضور فيها أي شرط سوى الرغبة في السماع و الإفادة لكل من أراد . وكل من يتفوق في هذه الحلقات لا يلبث أن يستدعى ألي دار الخلافة أو دار الولاية أو دور الوزراء ، مما كان من أهم أسباب ازدهار الحركية العلمية بالمساجد[١٦] .

ومع أن هذا العصر أمتاز بتدوين اللغة العربية وآدابها ، وبنقل العلوم المختلفة وترجمتها ، فلقد كان هناك لون مهم له الفضل الكبير على هذا وذاك ، لون طريف من ألوان حضارتنا بل ثقافتنا الزاهية ، كان له أثر عظيم في نشر الثقافة وذيوع العلم ، ورفع المستوي الاجتماعي و الذوق العلمي في الأوساط الثقافية ، هو تلك المجالس الأدبية و المنتديات العلمية ، التي تعددت في العصر العباسي ، مع ما كان للمساجد و المعاهد و المكتبات من عظم وكثرة ، وكان أهم تلك المنتديات " مجالس الخلفاء " في العصر العباسي الأول ، التي حفلت بطائفة كبيرة من الروّاد الأوائل في رواية الأدب العربي الذين يجتمعون ، فيسمرون في منتدياتهم ويتذاكرون في صفحته ماضي الأجداد فيأخذون منه الحكمة و العبرة و الفائدة من خلال ما قالوه في الملوك و الأمراء و الحاكمين [١٧] .

فكان الشعراء و الأدباء في هذه المجالس « يتبادلون جدّ الحياة فيحسنون فيه ، فتراهم يروون الشعر ، وينقدون الشعراء ويتحدثون بطرائف الحديث وغرائبه ، ويتناولون الخلفاء و الأمراء بالمدح وضروب الثناء ، فلا يخرجون إلا وقد امتلأت أيديهم بخيرات الدنيا بما كسبوا من عطاء الخلفاء »[١٨] فللخلفاء العباسيين – بحكم طبيعة دعوتهم السياسية – منتديات حافلة بالفقهاء والأدباء و الشعراء و المنادمين والمغنين ، وقد رحب الخلفاء و الأمراء و الأغنياء بالعلماء و الأدباء و الفنانين

---

[١٦] انظر: العصر العباسي الأول : د . شوقي ضيف – ص ١٠٠ .
[١٧] انظر : قصر المأمون وأثره على العصر : د. سامي عابدين – ص ٢٠ .
[١٨] حديث الأربعاء : د. طه حسين – ٢ / ٣٥ .

وأصحاب الصنائع و الموسيقيين و الشعراء القادمين من مختلف أرجاء المدن الإسلامية بل من مختلف أرجاء العالم ، فشجعوهم ، وأنشأوا مدارس و مكتبات يدرس فيها و منها ما أنتجه كبار العلماء و الحكمة من علوم و معارف بقيت آثارها الإيجابية إلى الآن [١٩].

فلقد امتاز العصر العباسي الأول بأن من تولى فيه عرش بغداد كان من الخلفاء العلماء ، فرغبوا في العلم وإجلال العلماء و الأدباء وسهلوا نزوحهم إليهم وأجروا الأرزاق عليهم وبالغوا في إكرامهم وقربوهم وجالسوهم وأكلوهم وحادثوهم وعولوا على آرائهم ، فلم يبق ذو قريحه أو علم أو أدب إلا يمّم دار السلام ونال جائزة أوهدية أو راتباً ، ولا يزهو العلم إلا في ظل أمير يتعهده ويأخذ بأيدي أهله ، و الناس كما يكون ملوكهم ، وخلفاء العصر العباسي الأول من أكثر ملوك الأرض رغبة في العلم و الأدب [٢٠] .

***

وهكذا كان الخلفاء العباسيون يعملون على انتعاش الفكر و الأدب بأساليب مباشرة وغير مباشرة ، مجالسهم تزيد في حسابه ، وتكثر في صفحات كتابه ، وحديثهم عنه وتفكيرهم فيه ومدّ يد العون لأهله ، وفتح أبوابهم لحملة رايته ، وأصحاب الانتساب إليه ، مما يطول الاسترسال فيه ، وعدم الانتهاء منه ، لذلك فإننا إذا قلنا إن عصره الذهبي كان يستمدّ تاريخه من أولئك الذين كانوا فيه نجوم سماء ، وحملة لواء ، لم نكن مبالغين في القول ، ولا مغالين في الرأي ، إنما نقرر الحقيقة العارية ، ونقول بعض الذي يجب أن يقال [٢١].

---

(١٩) انظر: قصر المأمون وأثره في العصر : د. سامي عابدين – ص ٢١ .
(٢٠) انظر : تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان – ١ / ٣٢٦ .
(٢١) انظر تاريخ الأدب العربي : د. إبراهيم أبو خشب – ص ٦٣ .

فكل هذا غيض من فيض خلفاء العصر العباسي الأول على الأدب وموهوبيه ، والعلم و مرتاديه ، و الفكر و معتنقيه ، بما نشروا من علوم ، وما حققوا من حريات في الرأي ، وبما أغدقوا من عطاء ، حتى أضحت تلك الحقبة الزمنية شعلة ضياء يشار لها بالبنان ، ويفخر بها المتفاخرون كلما جار الزمان على أمة الإسلام ، وأظلم على ناطقي العربية .

***

**

*

أولا : النقد الأدبي عند الخلفاء العباسيين :-

إذا كانت الروايات التاريخية والأدبية الموثوقة قد أثبتت مشاركة الخلفاء العباسيين الأوائل في شتى الأجناس الأدبية من شعر وخطابة وكتابة ، فإن تلك المصادر الثابتة قد أوردت لهم أيضا نوعاً آخر من المشاركات الأدبية يُظهر مدى تفاعلهم مع شعراء ذلك العصر وأدبائه ، ولا نعني به ذلك التفاعل السطحي المتمثل في تشجيعهم للأدب و الأدباء وسماعهم للشعر الجيد من الشعراء المقتدرين ، فهذا أمر مفروغ منه لا ينكره منكر .

إنما نعني به المشاركة البناءة التي تدلّ على حسّهم الأدبي ، وتمكنهم النقدي ، وحاستهم التذوقية ، يظهر ذلك في تفاعلهم الإيجابي مع الشعر و الشعراء ، ورغم وفرة ما يروى لهم حول هذا الموضوع ، إلاّ أننا سنذكر لهم في هذا المجال أبرز الحوادث التي تثبت مقدرتهم النقدية النابعة من عشقهم للشعر وتذوقهم الجمالي والمعرفي له ، ولن نستطرد في ذكر تلك الأقاصيص التي تثبت لهم مجرد إظهار الإعجاب والرغبة في السماع ثم إجزال المكافأة ، فلو أردنا جمع ذلك لطال بنا الاستطراد ، فلا نبالغ إذا قلنا أنه لا تكاد تخلو صفحة من صفحات المصادر الأدبية الموثقة من تلك الأمثلة التي ساهمت في رفعة الأدب ونموّه .

ولعل أبرز ما يبرهن على حسّهم النقدي وتذوقهم الشعري هو فنّ الاستنشاد للشعر الجيد و الشعراء المجيدين ، لاسيّما في المواقف المماثلة . وهذا الفنّ الذوقي يظهر لنا بوفرة ووضوح لدى «الرشيد» وبعده ابنه «المأمون» ، لما بينهما من أمور مشتركة باعتبار عهديهما زمن العزّ الوثيق و الاستقرار المتمكن ، فكان عشق كل منهما للأدب و الأدباء ظاهر بيّن مما جعل بلاط الخلافة في عصريهما خير نموذج على ذلك النمو الأدبي .

ويسبق الأب ابنه في هذا المضمار فيكون بمثابة القدوة و المربّي ، فنجد له العديد من الاستنشاد الشعري ، ولا نعني به تلك القصائد المدحية أو الرثائية أو ما

شابهها والتي يعرضها الشعراء على الخلفاء لنيل عطاياهم دون سابق طلب من الخليفة ، وإنما ذلك الذي يكون هدفه إنعاش الأدب وامتحان الشعراء .

وهذا المظهر الأدبي بعيد عن الجدل و التحدي لكن يحفز إليه المتعة الأدبية لدى الرشيد ، فهو في كل مناسبة ، وبلا مناسبة ، يطلب سماع الشعر ويحدد الأبيات أو القصائد التي يريد ان تُلقى أمامه . وكم من مرة أحرج الرشيد جلساءه بطلبه شعر لا يرويه أحد منهم ، فكان على الجلساء أن يظلوا مستعدين على الدوام لقول شعر أو روايته أو ارتجاله . [٢٢]

من ذلك أنه قال لأحد الرواة المشهورين وهو محمد البيدق : أنشدني مرثية مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة التي يقول فيها :

كأن الشمس يومَ أصيبَ معنٌ
من الإجلالِ ملبسة جلالا

قال : فأنشدته إياها ، ثم قال لي : أنشدني قصيدة أبي موسى التميمي في مرثية يزيد بن مزيد فهي والله أحبّ إليّ من هذه ، فأنشدته :

أحقّ أنه أودى يزيدُ ... تبيّنْ أيّها الناعي المُشيدُ
أحامي المجد و الإسلام أورى ؟ ... فما للأرضِ ويحك لا تميدُ !

قال : فبكى هارون الرشيد . [٢٣] كما قال ابن الأثير : كان الرشيد إذا اسمع هذه المرثية بكى ، وكان يستجيدها ويستحسنها . [٢٤] وما دمعة الرشيد السريعة هذه إلا أكبر دلالة على حسه الأدبي المرهف وعمق تذوقه للشعر الجيد الذى يحمل معان عديدة صادقة .

---

[٢٢] انظر : ديوان هارون الرشيد : تحقيق وشرح : د. سعدي ضناوي – ص ٥٩ .
[٢٣] الأغاني : للأصفهاني : ٣٢٣/١٩ .
[٢٤] الكامل في التاريخ : ١١١/٥ .

كما كان هذا الخليفة يكثر من استنشاد شعر عبد الله بن مصعب الذي يقول فيه :

- وإني وإن قصّرتُ من غير بغضةٍ

لراعٍ لأسباب المودة حافظ (٢٥)

فهذا البيت الذي ينطق بالحكمة المعبّرة عن صدق المشاعر الإنسانية الوثيقة ، ما كان ليعجب الخليفة الحكيم لولا تلك المعاني الراقية التي لا مست شغاف نفسه .

كما كان يحب شعر مسلم بن الوليد رغم منافسة الأمويين لأسرته ، حيث كان يستنشده أفضل أشعاره ، إلا أنه أصرّ على استنشاده قصيدة معينة كان الرشيد يحفظها وهو صغير وقد وردت فيها كلمة " الوحل " ، فأنشده مسلم شعره الذي أوّله :

- أديرا عليَّ الراحَ لا تشربا قبلي

ولا تطلبا من عند قاتلتي ذحلي

حتى انتهى إلى قوله :

- إذا ما علتْ منا ذؤابة شاربٍ

تمشّتْ به مشيَ المقيدَ في الوحل(٢٦)

ويبدو أن لفظة " الوحل " ظلت عالقة في ذاكرة الرشيد لتأثرها في نفسه من حيث المعنى والتصوير والنغمة الموسيقية الخادمة للمعنى ، نظراً للتشابه بين الاثنين ، فكل منهما ابن الأسرة عظيمة حاكمة حقّ له أن يفخر بها ، كما أن كليهما قد مرّا بعقبات متشابهة في ولايتهما لعهد الخلافة ورغبة الخليفة في نقض الولاية عن ولي عهده وذلك في تاريخ الاثنين معاً .

ولم يكن الرشيد يستنشد الشعر العربي الجيد من قبل جلسائه فحسب ، بل كان إذا لم يجد ضالته عندهم فإنه ينصرف إلى من ينتظر ببابه من الشعراء والرواة ، حيث أرسل إليهم ذات يوم من يقول لهم :

---

(٢٥) الأمالي : للقالي : ٢٥٤/١ .
(٢٦) العقد الفريد : لابن عبد ربه : ١٥١/٢ .

من كان منكم يروي قصيدة الأسود بن يعفر :

نـامَ الخـليّ ومـا أحـسّ رُقـادي

والـهـمّ محـتضرٌ لديّ وسادي

فليدخل وينشدها أمير المؤمنين وله عشرة آلاف درهم [٢٧] . وهذه الحادثة تدلّ على حسّ الرشيد الأدبي وحرصه على رواية الشعر وحفظه وجعله سبب مبارزة أدبية بين الشعراء و الرواة .

ولعل أبرز رأي نقدي لهارون الرشيد خاصة و لخلفاء بني العباس عامة ، هو ما كان عبر استنشاده الشاعر إسحاق الموصلي ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

وآمرة بالبخلِ قلتُ لها : أقصري ... فـذلك شـيء مـا إليه سبيلُ

أرى الناسَ خلاّن الجوادِ ولا أرى ... بخـيـلا له في العالمين خليلُ

عندئذ قال الرشيد منبهراً : « لله درّ أبيات تأبتنا بها يا إسحاق ، ما أتقن أصولها ، وأحسن فصولها ، وأقل فضولها » . فرد عليه إسحاق معجباً : كلامك يا أمير المؤمنين أجمل من شعري . فأمر له الخليفة بجائز سنية . [٢٨]

واستقطاب الرشيد لفحول الشعراء العباسيين ونقده لشعرهم نقداً دقيقاً وتذوّقاً جعلهم يتسابقون في الإبداع الشعري مما عاد على شعر تلك الحقبة التاريخية بشهرة واسعة وفيض من الفن البديع ، كحكايته مع الشاعر « أشجع السلّمي الذي كان ثقيلاً على قلبه من بين الشعراء ، ولكنه حينما دخل عليه يوماً وقال له : إني مدحتك يا أمير المؤمنين بشعر لا أطمع من نفسي ولا من غيري في أجود منه ، فإن أنا لم أهزّك في هذا اليوم فقد حرمت منك ذلك إلى آخر الدهر ، حيث أنشده قصيدته الميمية التي يقول فيها :

- وعلى عدوّك يا ابن عمّ محمد ... رصدان ضوءُ الصبح و الإظلامُ

- فـإذا تنبّه رُعـتـه وإذا هـدا ... سلتْ عليه سيوفـك الأحلامُ

---

[٢٧] الأغاني : للأصفهاني – ١٦/١٣ .

[٢٨] الأمالي : للقالي – ٣١/١ .

فلما بلغ هذين البيتين اهتزّ الرشيد وارتاح وقال ناقداً شعره ومبرزاً إياه دون غيره : هذا والله المدح الجيّد والمعنى الصحيح ، لا ما علّلتُ به مسامعي هذا اليوم . حيث كان قد أنشده في ذلك اليوم جماعة من الشعراء . ثم أنشده قصيدته التي على قافية الجيم وهي قوله :

- ملك أبوه وأمّه من نبعةٍ ... منها سراجُ الأمة الوهّاجُ
- شرابا بمكة في ذرا بطاحها ... ماء النبوة ليس فيها مزاجُ

فلما سمع الرشيد هذين البيتين كاد يطير ارتياحاً ، ثم قال : يا أشجع لقد دخلت إليّ وأنت أثقل الناس على قلبي وإنك لتخرج من عندي وأنت أحبّ الناس إليّ ، فقال له : فما الذي أكسبتني هذه المنزلة ؟ قال له : الغنى ، فاسأل ما بدا لك ، قال : ألف ألف درهم ، فقال : ادفعوا إليه)) [٢٩] .

وليس معنى ذلك ان الرشيد قد أسبغ العطاء على هذا الشاعر لمجرد أنه مدحه ، لأن هذا الخليفة لم يكن يستجدي المديح فقد كان الشعراء الكبار يتنافسون على بابه ، إنما كان كرمه سببه جودة معاني الشاعر في فن المديح وصدق قناعاته القوية في وصف الخليفة لذلك تغيرت نظرة الرشيد إليه مستجيداً جوهره متغاضياً عن قبح مظهره .

***

ثم هاهو المأمون الخليفة القوي المبدع يفعل كما فعل والده وإن اختلفت السبل ، حيث يسأل في منتداه الأدبي أحد رواة الشعر وهو النضربين شميل عن أخلب بيت قالته العرب [٣٠] ، فيخبره بأنه يوجد في قول حمزه بن بيض أحد الشعراء الأمويين في الخليفة الأموي الحكم بن مروان :

تقولُ لي و العيونُ هاجعة ... أقمْ علينا يوماً فلمْ أقم
أيّ الوجوه انتجعتْ قلت لها ... لأيّ وجهٍ ، إلاّ إلى الحكم

---

[٢٩] طبقات الشعراء : لابن المعتز ـ ص ٢٥١ .
[٣٠] الأغاني : للأصفهاني : ١٥٣/١٦ .

متى يقلْ صاحبُ السرادق هـ ذا إبنُ بيض بالباب يبتسم

قد كنتُ أسلمتُ مقتبلا فهاتَ " ادخلْ " واعطني سلمي

فقال المأمون : لله درّك كأنما شقّ الملك عن قلبي ، فأخبرني بأنصف بيت قالته العرب ؟ [٣١] قال الراوية : قول أبي عروة المدني :

إنـي وإن ابـن عمـي عاتباً لمدهنٌ من خلفه وورائِهِ

ومفيده نصرى وإن كان امرأ متباعداً من أرضِهِ وسمائِهِ

فأكون وُاليَ سرّهِ وأصونُهُ حتى يحينَ عليّ وقتُ أدائِهِ

وإذا دعا باسمي ليركبَ مركباً صعباً ركبتُ له على سيسائِهِ

فقال المأمون : ((أحسنت والله يا نضر ، والله لقد أحسن شاعرك وأجاد)) ، فالشعر هنا يبيّن أخلاقيات الأخوة العربية الصافية الصادقة التي تحفظ العهد حتى ولو نوى الطرف الآخر نية الشكّ أو الغدر .

ويبدو أن المأمون قد بلغ قمة النشوة الفكرية حيث استمرّ يسأل جليسه ولكن هذه المرّة عن أقنع بيت روته العرب[٣٢] ، فقال النضر : قول راعي الإبل حيث يقول

أقيمُ بالدار ما طمأنتْ بي الدا رُ وإن كنت نازعاً طربا

لا أحتوي خلّة الصديق من الرّ زق لنفسي وأجملُ الطلبا

وأحلبُ الترة الصفيّ ولا أطلب في غير حلفها حلبا

قد يُرزقُ الخافضُ المقيمُ ولا شدّ لعنس رحلاً ولا قتبا

ويُحرَمُ الرزقَ ذو المطيةِ والر حل ، من لا يزالُ مغتربا

فأعجبت هذه الأبيات الخليفة المأمون فهي رمز القناعة التي يؤمن صاحبها بأن الرزق يسعى لصاحبه ولا يخطئه ، وأنها كنز باق لصاحبه طالما لم يَشُبْها حسد

---

[٣١] المصدر السابق ص ١٥٤ .

[٣٢] نفسه .

ولا اعتراض . وكانت النتيجة أن انبهر المأمون بهذا الشعر الذي استنشده فأنشد أمامه فكافأه بمكافأة جزيله .

كما نلاحظ أن من أسباب حرص خلفاء بني العباس على الاستنشاد هو إحياء الشعر العربي القديم ، وذلك كما فعل الخليفة المأمون في بلاطه الأدبي حيث طلب من جلسائه وعنده جماعة من قريش : « أيكم يحفظ أبيات عبد الله بن الزبعرى التي يعتذر فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » ؟ فقال مصعب بن عبد الله الزبعرى : أنا يا أمير المؤمنين فأنشدها كلها أمامه ، وهي التي يقول فيها :

منعَ الرقادَ بلابلٌ وهمومٌ ... و الليل معتلج الرواق بهيمُ

مما أتاني أن أحمدَ لامني ... فيه فبتّ كأنني محمومُ

يا خيرَ من حملتْ على أوصابها ... عيرانةٌ سُرُحُ اليدين رسُومُ

إني لمعتذرٌ إليك من الذي ... أنشأتُ إذ أنا في البلاد أهيمُ

حتى نهاية القصيدة التي سرّ سماعها المأمون وتبرك بسماعها في منتداه الأدبي ، وكافأ راويها . [٣٣]

كما يروى عن المأمون أنه سمع بيتاً يغنّى أمامه وهو :

تخيّرتُ من نعمانَ عود أراكةٍ

لهندٍ فمنْ هذا يُبلغْ هندا

فقال : « اطلبوا لهذا البيت ثانياً » ، فلم يعرف أحد رغم سؤاله كلّ من بحضرته من أهل الأدب و الرواة و الجلساء عن قائل هذا الشعر الذي نال إعجابه ، ولكن لم يجبه أحد ، إلا أن الراوية الباحث إسحاق بن حميد جدّ في معرفته ، فعلم أنها للمرقش الأكبر حينما سمع حادياً يحدو بها ويقول :

خليليّ عوجا ، بارك اللهُ فيكما ... وإنْ لم تكن هندٌ لأرضكما قصدا

وقولا لها ليس الضلالُ أجازنا ... ولكننا جُزنا لنلقاكم عمدا

---

[٣٣] بغداد في تاريخ الخلافة العباسية : لابن طيفور : ص ٤٩ .

تخيّرتُ من نعمانَ عودَ أراكةٍ لهندٍ ، فمن هذا يبلغهُ هندا

وأنطيتهُ سيفي لكيما أقيمهُ فلا أوداً فيه استبنتُ ولا حصدا

فسعد المأمون بذلك وأمر بتلحين بقية الأبيات و إضافتها للبيت الوارد السابق[٣٤] ، لكي تكون بنية ملتحمة ، رغم وفرة الشعر الحديث الخفيف الصالح الإنشاد ، إلا أن تقدير المأمون للشعر القديم هو ما حداه إلى هذا التقصّي و الحفظ ، ممّا يدل على عمق تذوقه للشعر الجزل المتماسك .

وكما حرص المأمون على تذوق الشعر العربي القديم بحسّه النقدي الجمالي ، حرص أيضا على الاستماع إلى جيّد الشعر المحدث العباسي ونقده كمتذوق معاصر واسع الاطلاع عميق الفهم ، حيث يروي عله صاحب الأغاني أنه نظر ذات يوم إلى أبي الحسن الراوية وقال : أنشدني أشجع بيت وأعقه وأكرمه من شعر المحدثين ، فأنشده :

ومـــنْ يفتقرْ منّا يعشْ بحسامِهِ

ومن يفتقرْ من سائر الناس يسأل

و إنا لنلهو بالسيوفِ كما لَهتْ

عروسٌ بعقدٍ أو سخابِ قرنفل

حينئذ سأل المأمون في إعجاب متناهٍ : « ويحك من يقول هذا ؟ » فقال : بكر بن النطاح . فطق المأمون على الأبيات قائلاً : أحسن والله . ولكن كذب في قوله ، فما باله يسأل أبا دُلف ويمتدحه وينتجعه ، هلاّ أكل خبزه بسيفه كما قال ! » .[٣٥]

فالمأمون هنا يتصرف تصرف الناقد المعاصر للشاعر فهو أولاً يطلب سماع شعر يجمع بين ثلاثة عناصر متعددة مختلفة وهي العفة مع الكرم والشجاعة ، وهي أبرز الصفات الخلقية الواجب توافرها في النفس الإنسانية . ثم هو يبدي استحسانه بهذا الشعر وجودته اللفظية و المعنوية ، ولكن ينتقد صدق التجربة الشعرية لدى

---

(٣٤) الأغاني : للأصفهاني – ٣٣٠/١١ .

(٣٥) المصدر السابق - ٣٩/١٩ .

القائل ، لأنه تنزل في واقعه لممدوحه ولم يطبق ما ورد في شعره من كرامة وشجاعة وسمو . وهذه أمور تدلّ في مجملها على وعي نقدي لدى المأمون .

ثم نقرأ له أنه قال للشاعر عماره متعجباً : كيف قلت مفداة ؟! فرد عليه بقوله : هي امرأتي نظرت إليّ وقد افتقرت وساءت حالتي ، فأنشدتْ :

قالت مفداة لما أن رأتْ أرقي ... والهمّ يعتادني من طيفهِ لممُ

نعيْت مالك في الأدنين آضرةٌ ... وفي الأباعد حفك العدمُ

فاطلبْ إليهم تجدْ ما كنتَ من حَسَنٍ ... تسدي إليهم فقد باتت بهمُ صدَمُ

فقلتُ : عاذلتي قدْ أكثرتِ لائمتي ... ولم يَمُتْ حاتمٌ عذلاً ولا هرمُ [٣٦]

وبعد أن تساءل المأمون عما خفي عليه من ألفاظ غريبة في القصيدة وعلم أنها حوار بين الشاعر وزوجته ، عزّ عليه خلوّ القصيدة من الصدق الفني لأن الشاعر شبّه نفسه بشخصيات تمثل قمة تاريخية في الكرم العام البعيد عن المطامع الشخصية ، حيث نظر إليه مغضباً ومستنكراً : لقد علت همتك أن ترقى بنفسك إلى هرم وقد خرج من ماله في إصلاح قومه » . [٣٧]

***

ولم يكن الرشيد و المأمون هما الخليفتان اللذان كانا يستنشدان الشعر الجزل البديع فحسب بل كذلك كان الخليفة القوي المنصور الذي طالت مدة حكمه ، واشتهرت عنه الفصاحة و البلاغة ، يحرص على الأدب و الشعر ويوثقهما برأيه النقدي حيث روي عنه أنه مرّ بالمهدي وهو ينشد المفضّل الضبّي قصيدة المسيّب بن علس التي أولها :

أرحلتَ من سلمى بغيرِ متاعِ

قبل العطاسِ ورغتَها بوداعِ

---

[٣٦] الأغاني : الأصفهاني – ٢٣/٤٣٠ .

[٣٧] نفسه .

حتى نهاية القصيدة الطويلة ذات الستة والعشرين بيتاً ، والتي آخرها قوله :

انــت الــذي زعـمــتْ تمـيـمٌ أنه

أهــلُ السـمـاحـةِ و الندى و الباعِ

فلـم يـزل واقفـاً مـن حيـث لا يُـشعر بـه حتـى استوفى سـماعهما ((أي المفـضّل والمهـدي)) ، فحدّث المفـضّل لوقوفـه واستماعه لقصيدة المسيّب واستحسانه إياهـا ثـم اقترح عليـه بحسنّ نقـدي وفكـر مسؤول عـن التـراث قـائلاً : ((لـو عمـدْتَ إلـى أشـعار الشعراء المقلين ، واخترت لفتـاك لكل شـاعر : أجود مـا قـال ، لكـان ذلـك صـواباً . ففعل ذلـكَ المفـضل متقـبلا ذلـك الاقتــراح ومؤيـداً لــه ، ممــا دعــاه إلـى تـأليف كتــاب ((المفضليات)) . [٣٨]

ومـن أبـرز المواقـف النقديـة لـدى أبـي جعفـر المنـصور خاصـة ،وفـي بـلاط الخلفـاء العباسـيين عامـة مـا رواه صـاحب العقـد الفريـد بـأن حاجِـب المنـصور قـال لـه ذات يـوم : إن الـشعراء ببابـك وهـم كثيـرون طالـت أيـامهم وقـال لهـم : مـن مـدحني مـنكم فـلا يـصفني بالأسـد فإنمـا هـو كلـب مـن الكـلاب ، ولا بالحيّـة فإنمـا هـي دويبـة منتنـة تأكـل التـراب ، ولا بـالبحر فإنمـا هـو حجـر أصـمّ ، ولا بـالبحر فإنمـا هـو غطـامط لجـب . ومـن لـيس فـي شـعره هـذا فليـدخل ومـن كـان فـي شـعره فلينـصرف . فانـصرفوا كلهـم إلا إبـراهيم بـن هرمـه ، فإنـه قـال :أنـا لـه ، فلمـا مثل بين يديـه . قـال المنـصور لحاجبـه : قـد علمـت أنـه لا يجيبك أحد غيره ، هات يا بن هرمه . فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

لــه لحـظـات عـن حـفـافي سريره

إذا كــرّها فـيــها عــذابٌ ونائلُ

لهم طـيــنــة بـيـضاء مـن آلِ هاشمٍ

إذا اسـودّ من كوم التراب القبائلُ

---

[٣٨] ذيل الأمالي : القالي – ص ٣٠-٣٢ .

إذا ما أبـى شيئاً مـضى كالذي أبى

وإن قـال إني فاعلٌ فهو فاعلُ[٣٩]

فالمنصور هنا ينطق بنظرية نقدية جديدة تلاءم مستجدات عصره ، فهو لا يريد تشبيهات تقليدية باتت مكرورة في المعجم الشعري القديم توارثها الأحفاد عن الأجداد ، بل هو يرغب في الإبداع الشعري المتلائم روح العصر ومستجداته ، وهذا دليل على إدراكه النقدي ، وعمق تذوقه الشعري .

لم يكن نقد المنصور شكليا وفنياً فحسب ، بل تعداه إلى نقد المضامين الشعرية التي تضمنتها أبيات الشاعر ، من ذلك نقده للشاعر العباسي الناسك طريح الثقفي في المنصور :

أنت مستبطح البطاح ولم	تعطفْ عليك الحيُّ و الولجُ
لو قلت للسيلِ دعْ طريقك والمو	جُ عليه كالليل يعتلجُ
لهمَّ أو كادَ أو لكان له	في سائرِ الأرضِ عنك متعرجُ
طوبى لفرعيك من هنا وهنا	طوبى لأعراقك التي تشجُ

فطقَ المنصور على هذه الأبيات منتقدا : بلغني أن هذا الرجل يتأله ، فكيف يقول للسيل : دع طريقك ؟! فبلغ ذلك طريحاً فقال : الله يعلم أني إنما أردت قول : يا رب لو قلت للسيل دع طريقك[٤٠] ، وهكذا أراد المنصور أن يقال فهو الرأي الصواب ، وكأنما الخليفة العباسي يضع أسس نظية الالتزام في الفن منذ تلك الحقبة من التاريخ .

***

وقد كان هذا هو دين خلفاء بني العباس جميعاً في محافلهم ، ولكن كان لهؤلاء الخلفاء العظماء بروزاً أكثر في هذا المجال وكأنما سخروا بلاطهم لرواية

---

(٣٩) ابن عبد ربه : العقد الفريد - ١/٣٤٠ .

(٤٠) الأغاني : الأصفهاني – ٥/٢٧٨ .

الشعر وسماعه وتذوقه ونقده . حيث نقرأ للخليفة "المهدي" روايات تاريخية تروي استنشاده الشعر القوي للشعراء الفحول ، حيث دخل بعض الرواة عليه فقال له المهدي أنشدني قول زهير بن أبي سلمى :

لمنْ الديارُ بقنّة الحجر

فأنشدها الراوية حتى أتى على آخرها ، فقال له المهدي معجباً بهذا الشعر ومثنياً على قائله : «ذهب والله من كان يقول هذا » ، فقال له : كما ذهب والله من يُقال فيه ، فاستجهله واستحمقه . (٤١)

كما استنشد هذا الخليفة العباسي المفضل الضبي شعرَ الشماخ الذي يقول :

وأشعثَ قدْ قدّ السمار قميصَهُ

يجرُّ شواءً بالعصا غير منضّج

دعوتُ إلى ما نابني فأجابني

كريمٌ من الفتيان غير مزلّج

فتى يملأ الشيزى ويروى سنانه

ويضرب في راس الكميّ المدجّج

فرفع المهدي رأسه إلى عبد الله بن مالك الخزاعي وقال له : هذه صفتك أنت يا أبا العباس ، فردّ عليه قائلاً : بك تلثها يا أمير المؤمنين ، فطلب منه أن ينشده شعر السموأل الذي يقول فيه :

إذا المرءُ لم يدنّسْ من اللؤم عرضه

فكلّ رداء يرتديه جميلُ

وإنْ هو لم يحملْ على النفس ضيمَها

فليس إلى حسنِ الثناءِ سبيلُ

---

(٤١) العقد الفريد : ابن عبد ربه : ٨/٣ .

حتى وصل إلى قوله :

وأسيافُنا في كلِّ شرقٍ ومغربٍ
بها من قراعِ الدارعينَ فلولُ

فقال المهدي : أحسنت ، بهذا بُلغتم ، سلْ حاجتك[42]

****

حتى الخليفة ((الهادي)) الذي لم تدم مدة ولايته أكثر من عام ونيّف ، قد رويت عنه الروايات التي تدل على حبه للأدب وشغفه بالشعر من ذلك حينما وصف له سيف بن عمرو بن معد يكرب الشهير الذي يقال له ((الصمصامه)) ، فاشتراه من ولد سعيد بن العاص الذي وهبه له صاحب السيف ، فدعا به ، فوضع بين يديه مجرداً ، ثم قال لحاجبه : إئذن للشعراء ، فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا فيه ، فبدرهم الشاعر ابن يامين فقال فيه قصيدة رائعة من تسعة أبيات وصف طريف دقيق منها :

حازَ صمصامة الزبيديّ عمرو	من جميعَ الأنامَ موسى الأمينُ
سيفَ عمرو وكان فيما سمعنا	خيرَ ما أغمدتْ عليهِ الجفونُ
وكأن المنون نيطتْ إليهِ	فهو من كلّ جانبيه منونُ
ما يبالي من انتضاهُ لضربٍ	أشمالٌ سطتْ بهِ أو يمينُ

فقال الهادي بإعجاب شديد : أصبت والله ما في نفسي ، واستخفه السرور فأمر للشاعر بالمكتل و السيف نفسه ، كما أمر له ببدرة مال مفضلاً شعره على بقية وصف الشعراء الآخرين [43] . وفي هذا دلالة على حسن تذوق الهادي للشعر الجيد وتقديره له التقدير المستحقّ له .

بل يذكر أن هذا الخليفة لم يكن يرغب في الشعر ، ولا يلتفت إليه ، ولا يأذن لأحد من الشعراء مدة أيام خلافته ، ولكن لمّا كتب أبو الخطاب البهدليّ رائيته وطلب

---

[42] المصدر السابق - ٢٦٧/١ .

[43] وفيات الأعيان : لابن خلكان – ٣٠٤/٢ .

أن توصل إليه ، فلما سمعها الهادي أعجب بها إعجاباً شديداً وقال لحاجبه : اخرج إلى الباب فمُرْ من ينادي : أين نسّابة الأسد ؟ فلما سمع أبو الخطاب ذلك علم أن شعره قد وصل وعمل عمله ، وكان الشعراء مجتمعون ، فقال مفتخراً : ها أنذا ، فأخذ الحاجب بيده وأدخله عند الخليفة الذي قال له : هات أنشدنا ، فأنشده قصيدته الرائية الطويلة المشهورة التي منها :

- قلْ للخليفةِ موسى : إن نائله ... جزل هنيّ وما في سيبه كدرُ
- متوج بالهدى ، بالحمد ملتحف ... مسربل بالندى ، بالمجد متزرُ
- غضنفر غضف قرضابة ثقف ... مسترعب لقلوب الناس مصطبرُ
- لا يكسر الناس ما شدّوا جبائره ... وليس يُجبُر طولَ الدهر من كسروا

فاستحسنها الهادي وأعجب بها ، حتى أنه أمر في ذلك اليوم ألا يحجب عنه شاعر ، وأن يعلم الشعراء أن أبا الخطاب كان السببَ في ذلك . كما أمر لأبي الخطاب بألف دينار وكساه وحمله [1] .

فهذه القصيدة الشهيرة التي ذكرنا بعضاً من أبياتها قد غيرت الهادي من حال إلى حال ، وليس لمجرد المدح ذاته فالخليفة يعلم أنه المدح له كثير لو أراد ، ولكن عشقه لما تذوّقه وأحسّ به من تفاصيل المدح وقوة معانيه وروعة أفكاره ، وما كان سيشعر بكل ذلك لولا حسّه الجمالي وذوقه النقدي .

***

وتستمرّ الآراء النقدية لدي الخلفاء العباسيين للشعر وتذوقه تذوقاً محسوساً ، حيث نجد مثل تلك المحاولات النقدية عند خليفة مثل « المعتصم » الذي اشتهرت عنه الأمية ، ولم يكن كسابقيه من الخلفاء الذين أحيوا التراث وأنبتوا الإبداع ، ولكن يبدو أن المناسبات الكبرى مثل انتصار عموريه ساهم في إبداع الشعراء وفي تفتيق

---

(1) طبقات الشعراء : لابن المعتز ـ ص ١٣٢ ـ ١٣٤ .

ذهن الخليفة ، الذي غنت له الأمة الإسلامية وفي مقدمتها شاعرها الفحل أبو تمام بطل القصيدة الشهيرة :

السيفُ اصدقُ أنباءً من الكتبِ

في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ و اللعبِ

بيضُ الصفائح لا سودُ الصحائفِ

في متونهنَّ جلاءُ الشكِ و الريبِ

والقصيدة طويلة وزاخرة بالمعاني البكر و الألفاظ و التصاوير الخلاّقة ، مما دعا المعتصم أن يقول للشاعر وهو مبهور بقصيدته التي كانت و ما زالت تبهر كل قارئ لها و مستمع : «لقد جلوت عروسك يا أبا تمام فأحسنت جلاءها » . (٥٠)

فهذه القصيدة شبهها المعتصم بالعروس الجمّيلة المنمّقة ليلة زفافها الميمون ، فقد جلاها وأبرزها قائلها فأجاد إخراجها على الوجه الجمالي المطلوب شكلاً ومضموناً .

وهكذا كان خلفاء بني العباس في أوج تألقهم السياسي و الحربي و الثقافي والعلمي و الأدبي ، ناقدين متذوقين ، كما كانوا منصتين جيدين ومشجعين في غاية الكرم ، حيث كانت تظهر منهم بعض الآراء النقدية القديرة التي دلّت على شخصياتهم المحبّة للأدب و الشعر ، وذلك عن طريق استنشادهم للشعراء المجيدين ما يختارونه بأنفسهم من الشعر الموثر ، ثم تذوقهم إياه ، وامتحانهم لندمائهم وحاشيتهم ، مما يدلّ على تمكنهم الأدبي ، ومعرفتهم العميقة بالشعر ، ويؤكد حقيقة ما نسب إليهم من إبداع شعري خاص في أغراض متعدّدة .

*****

***

*

(٥٠) زهر الآداب : القيرواني – ٤٣٢/٢ .

ثانياً : البلاغة الشعرية و النثرية لدى الخلفاء العباسيين :

ولم يكن الحس النقدي استنشاداً وتذوقاً وتفاعلاً ، هو وحده الموجود لدى خلفاء بني العباس فحسب ، بل كانوا أيضاً أصحاب ألسنة بليغة في محاوراتهم مع البلغاء و الفصحاء والأدباء ، فكانت بلاغتهم ذات شقين : أحدهما شعري و الآخر نثري ، فأما الشعري فيظهر في تمثلهم بالشعر في مواقف عديدة ، ويدل على ذلك حرصهم البيّن على حفظ الجيّد من الشعر و التمثيل به في مواطن مهمة بتفاعل جم وكأنما هم القائلون له .

وأمّا ما يخصّ البلاغة النثرية فهي من إنشائهم الخاص وموهبتهم المحتشدة بالفصاحة و البلاغة و التي نستنتج منها حكماً وفوائد بقيت في ذاكرة التاريخ وتعبّر أصدق تعبير عن مقدرتهم اللغوية و الأدبية والبلاغية . وقد قال الجاحظ : ((صناعة الكلام علق نفيس وجوهر ثمين هو الكنز الذي لا يفنى ولا يبلى ، و الصاحب الذي لا يملّ ولا يقلى ، وهو العيار على كل صناعة ، و الزمام لكل عبارة و القسطاس الذي به يستبين نقص كل شيء ورجحانه والراووق الذي يعرف به صفاء كل شيء وكدره ، والذي كلّ علم عليه عيال ، وهو لكل تحصيل آلة ومثال)) . [46]

***

فأما من حيث رواية الشعر و التمثّل به :

فلم يكن خلفاء بني العباس يكتفون باستنشاد غيرهم الشعر ويسعدون بسماع جيد القصيد من أفواه غيرهم ، بل طفقوا ينشدون هذا الشعر بأنفسهم ويتمثّلون بغرره من القصائد و الأبيات المعبّرة عن مواقفهم الحياتية و النفسية مما يكشف جانباً مهماً من بلاغتهم .

---

[46] زهر الآداب ـ للقيرواني ـ ٣/٩٢١ .

وكما هو المعتاد فإن « الرشيد » يأتي على رأسهم فهو الأديب الأريب الذي امتدّت حقبة خلافته حتى أظهرت جميع مواهب شخصيته المتميزة ، « فقد كان يجد في كل مناسبة بيتاً شعرياً أو أبياتاً يتمثل بها فتعبر عن واقعه النفسي من حزن أوفرح أو إعجاب أو تحمل أغراضه،وهذا ما تبارى المؤلفون في روايته عنه ». [٤٧]

والأمثلة على ذلك عديدة ، فإذا ما أحسّ بزوال الشباب وقرب المشيب نراه يتمثل بشعر منصور النمريّ الذي يدور حول هذا المعنى وينضح بالحسرة و الأسى ويقول فيها :

أتأملُ رجعة الدنيا سفاها ... وقدْ صار الشبابُ إلى ذهابِ
فليت الباكياتِ بكلّ أرضٍ ... جُمِعْنَ لنا فنُحْن على الشبابِ

ومن روائع تمثله ، حينما مدحه أعرابيان أبدع أحدهما وأخفق الآخر ، قوله مستشهداً ببيت ربيعة الرقي القائل :

لشتان ما بين اليزيدي في الندى

يزيد سُليم و الأغرّ ابن حاتم [٤٨]

وفي موقف آخر للرشيد وهو حاج حيث عرض له أعرابي من بني أسد فقرّضه ، فردّ عليه الرشيد : ألم أنهك عن مثل هذا في شعرك يا أخا بني أسد ؟ إذا أنت قلت فقل كما قال مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة :

بنو مطر يومَ اللقاءِ كأنهم ... أسودٌ لها في غليل خفان أشبُلُ
هم يمنعون الجارَ حتى كأنما ... لجارهم بين المساكين منزلُ
بها ليل في الإسلامِ سادوا ولم يكن ... كأولهم في الجاهليةِ أولُ
هم القولُ إن قالوا أصابوا وإن دُعوا ... أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالَهم ... وإنْ أحسنوا في النائباتِ وأجملوا[٤٩]

---

[٤٧] ديوان هارون الرشيد : تحقيق وشرح سعدي ضناوي – ص ٥٦ .
[٤٨] زهر الآداب : القيرواني – ٧٠٤/٣ .
[٤٩] العقد الفريد : ابن عبد ربه : ٢٧٦/٥ .

فهذه الحادثة تدل على حفظ الرشيد الشعر القوي و التمثل به في المناسبات الملائمة له ، كما تدل على إعجابه بهذه النوعية من القصيد وحرصه على شيوعه من خلال الاستشهاد به و الاقتداء بنموذجه وطريقته .

بل إننا نرى الرشيد وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة لا يكاد يستغني عن التمثل بالشعر المثير للشجن و المتلائم مع الموقف الرهيب ، حيث راح ينشد متمثلاً :

أحيـنَ دنا ما كـنـتُ أرجو دنوّهُ

رمتني عيونُ الناسِ من كلّ جانب [٥٠]

***

ولم يقتصر حفظ الخلفاء العباسيين على شعر القدامى فحسب ، بل حفظوا كثيراً من شعر معاصريهم ، إما إعجاباً بهذا الشعر ، وإمّا نقمة من قائله الذي خصّ به غيرهم ، ومن ذلك قول أبو العباس «السفاح» مؤسس دولتهم للشاعر أبي نخيله [٥١] حينما استأذنه في الإنشاد ، فقال له مستنكرا : ألست القائل لمسلمة بن عبد الملك :

أمسلمة يا نجلَ خير خليفةٍ ويا فارسَ الهيجا ويا جبل الأرضِ

شكرتُك إن الشكر حبلٌ من التقى وما كلُّ من أوليتَهُ نعمة يقضي

وألقيت لمّا أنْ أتيتكَ زائراً عليَّ لحافاً سابغ الطول و العرضِ

ونبهت من ذكري وما كان خاملاً ولكنّ بعضَ الذكر أنبَهُ من بعضِ [٥٢]

فجمال هذه الأبيات وقوة عناصر المدح فيها قد جعلتها تعلق في ذهن السفاح ذلك الرجل القوي الذي أسس دولة قوية على أنقاض دولة لا تقل عنها قوة ، بل جعلته يشعر بالحنق على الشاعر لغيرته مما جاء في قصيدته لأعداء دولته

---

(٥٠) الكامل في التاريخ : لابن الأثير – ١٣٠/٥ .

(٥١) الشاعر أبو نخيله : هو الجنيد بن الجون ، وهو مولى لبني حماد ، وكان مقصّدا راجزاً . (انظر : زهر الآداب – القيرواني – ٩٩٦) .

(٥٢) زهر الآداب : للقيرواني – ص ٩٩٥ .

السابقين. ولم يعف عنه حتى مدحه بأرجوزة مماثلة في معانيها القوية التقريضية قال فيها :

وكلُّ ما قد مرَّ في سواكا

زورٌ وقد كفَّرَ هذا ذاكا [٥٣]

حقاً لقد نقض شاعر الأمويين كل مدح سابق أسبغه على خلفاء الأمس من الأمويين إرضاء لحليف اليوم القوي مؤسس دولة بني العباس وناقد الأدب الذكي الذي لم يفته ما قاله الشاعر سابقاً في أعدائه .

***

ثم تروي لنا المصادر حادثة تاريخية تدور في نفس الفلك السياسي ، ويظهر فيها حرص خلفاء بني العباس على التمثل بالشعر المتلائم مع الموقف الذي وضعوا فيه مع أعدائهم ومنافسيهم ، حيث أتي « المهدي » برجل من بني أميه كان يطلبه فتمثل بقول سُديف شاعرهم :

جرِّد السيفَ وارفعْ السوط حتى

لا ترى فوقَ ظهرها أمويّا

لا يغرنَّكَ ما ترى اليومَ منهم

إنّ تحتَ الضلوع داءً دويّا

فقال الأموي : لكن شاعرنا يقول :

شُمسُ العداوةِ حتى يُستقاد لهم

وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا

حينئذ قال المهدي : قال شاعركم ما يشبهكم ، وقال شاعرنا ما يشبهنا ، ثم أمر بقتله . [٥٤]

---

(٥٣) نفسه .

(٥٤) عيون الأخبار : لابن قتيبة ـ ٢٠٨/١ .

كما نجد في موضع آخر تمكّن المهدي من حفظ الشعر واستيعابه وروايته في المجال الملائم له ، وذلك حينما سيق إليه الشاعر صالح بن عبد القدوس الذي اتهم بالزندقة،فلما خاطبه الخليفة أعجب به لغزارة أدبه وعلمه وبراعته ، وبما رأى من فصاحته وحسن بيانه وكثرة حكمته ، فأمر بتخلية سبيله ، فلما ولىّ ردّه وقال : ألست القائل :

- وإنّ من أدبته في الصبا ... كالعود يسقى الماء في غرسهِ .
- حتى تراه مورقاً ناضراً ... من بعد ما أبصرتَ من يبسهِ .
- والشيخُ لا يترك أخلاقَه ... حتى يوارى في ثرى رمسهِ .
- إذا ارعوى عادَ إلى جهلِه ... كذى الضنا عادَ إلى نكسهِ .

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال له المهدي : وأنت هل تترك أخلاقك ؟ ونحن نحكم في نفسك بحكمك . ثم أمر بقتله (**) .

فالمهدي الذي اشتهر بتتبّع الزنادقة الذين كثروا في عهده فكان يمتحنهم ، ثم يستتيبهم ، أو يأمر بقتلهم ، حكم على هذا الشاعر من خلال ما حفظ له من شعر ، مما يدل علي شدة وعيه ومدى معرفته لأهمية الشعر وتعبيره عن شخصية قائله .

ولم تظهر ثقافتهم وبلاغتهم في مجالات الجدّ فحسب ، بل نراهم حتى في مجالات الرفاهية واستقرار العيش وبذخه تتجلى ثقافتهم الشعرية مما ينم عن فصاحتهم ونبلهم جانب كبير من جوانب البلاغة العربية المتمثلة في الشعر الجزل حيث نرى «المهدي » في بلاطه الأدبي يعد نديمه عيسى بن داب جارية ثم يهبه إياها ، فأنشده عبد الله بن مصعب الزبيري معرّضاً بقول مضرّس الأسدي :

فلا تيأسنْ من صالح أن تنالهُ ... وإن كان قدماً بين أيد تبادره

(**) طبقات الشعراء – لابن المعتز – ص ٨٩ .

وضحك المهدي وقد عرف هدفه قائلا : ادفعوا إلى عبد الله فلانه ، يعني جارية أخرى ، فقال عبد الله بن مصعب :

أنجزَ خيرُ الناس قبلَ وعده أراحَ من مطلٍ وطولِ كذِهِ

فانتقده ابن دأب قائلاً : ما قلت شيئاً ، هلاّ قلت :

حلاوةُ الفضل بوعدٍ يُنجَزُ

لا خيرَ في العرف كنهبٍ يُنهزُ

حينئذ تدخل المهدي ببيت شعر يتمم المعاني التي طرقها نديماه ، حيث بادر بقوله :

الوعدُ أحسنُ ما يكو ن إذا تقدّمهُ ضمانُ [٥٦]

فالمهدي لم يكتف بالإنصات و التذوق فحسب ، بل أدلى بدلوه الشعري الذي يشير إلى سعة ثقافة ، وجزالة فصاحة ، وبديهة اسلوب ، مما كوّن طرفة أدبية في منتدى ثقافي ملوكي بين أشخاص متساوي القدر في ميدانَ البلاغة

***

بيد أننا نرى « المأمون » الذي استقرّبه الحال وطالت مدة حكمه ، يحفظ شعر أحد الشعراء المشهورين المحدثين وينشده رغم طوله ، وما ذاك إلاّ لإعجابه بهذا الشعر وملاءمته مع موقفه النفسي في محيط تسوده الرفاهية ويغشاه الترف ، حيث كان في جلسة شراب وسُقيا فطلب من جليسه أن ينشد شعراً في هذا الموقف .فانشده عدة أبيات تصف جلسة الخمر وتتغزل بالغلام الساقي قال فيها :

ثجّاجُ مُزنٍ ، ثجّ كأسَ رحيق

ريقُ المهفهفِ فيه أعظمُ ريقِ [٥٧]

---

[٥٦] زهر الآداب : للقيرواني – ٣٧٣/٢ .

وحينما أتمّ أبياته التي أعجب بها المأمون ، ولكنه قال بحسّ نقدي : أشعر والله منه في هذا المعنى شيخ الشعراء أبو نواس ، وذكر أبياته كلها رغم طولها وكثرتها، وما ذلك إلا لعشق المأمون حتى الثمالة للشعر الرقيق في لفظه ، البديع في تصويره [*]، منه قوله :

فكأنّ ما في الكأس من إبريقِهِ
نارٌ تسلُّ من فم الإبريقِ
وكأنّها والماءُ يأخذُ جسمتها
درٌّ ينثرُ فوق أرض عقيقِ
وتضوعُ مسكاً في الزجاجةِ انفرا
ثوبَ الشباب معصفراً نجلوقِ
ما طابَ عيشُ فتى يطيبُ بغيرها
لا سيّما أنْ شجّها بالرّيقِ [٥٨]

فكأنّ المأمون قام بمساجلة شعرية مع نديمه في نفس الغرض و القافية ، ولكنه قام بعمل مفاضلة بين القصيدتين و الشاعرين من خلال تمثله لما حفظ من شعر يستجيده .

كما كان المأمون يحب أن يتنقل في قصره من موضع إلى موضع منشداً ومتمثلاً بقول شاعر الزهد العباسي أبي العتاهية :

لا يصلحُ النفسَ إذا كانت مدبرةً
إلاّ التنقّلُ من حالٍ إلى حالِ [٥٩]

حيث يصور المأمون جانباً مهمّاً من جوانب النفس البشرية التي تتصف بالملل والسأم لذا فهمي تحتاج إلى التغيير و التجديد بين الحين و الحين ، ويؤكدّ هذا الأمر

---

[٥٧] المحاسن و المساوئ : للبيهقي : ص ١٣٣ .
[*] نعني هنا المأمون أعجب بالروح الفنية في هذا الشعر ولكن لم يشتهر عنه أنه يحبّذ شعر الخمر أو التغزل بالغلمان سواء أكان ذلك قولاً أو سماعاً .
[٥٨] المحاسن و المساوئ : للبيهقي : ص ١٣٤ .
[٥٩] نهاية الأرب في فنون الأدب : للنويري ــ ٣٩٥/١٠ .

بما حفظه من شعر أحد الشعراء المحدثين العباسيين المعاصرين له ولبعض خلفاء بني العباس ، وما ذاك إلا لأنه يرى أن الشعر لغة الحياة .

***

أما الواثق الذي اشتهر بقول الشعر في فن الغزل ، وحبه للغناء ، فقد ظهرت ثقافته وبلاغته الشعرية في هذا المجال حينما قال لأحمد بن دؤاد : ما زال اليوم قوم في ثلبك ونقصك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لكل المرىء منهم ما اكتسب من الإثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ، والله وليّ جزائه ، وعقاب أمير المؤمنين من ورائه ، وما زلّ – يا أمير المؤمنين – من كنت ناصره ، وما ضاق من كنت جاراً له ، فما قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلت لهم يا أبا عبد الله :

وسعى إليّ بعيبِ عزة معشرٌ
جعلَ الإلهُ خدودهنّ نعالها

فقد تمثل الخليفة الواثق ببيت كثيّر عزّه وهو يردّ على العواذل الذين يلومونه على حب عزه ويكثرون من ذكر مثالبها ، ورغم ذلك فلم يتجاوب معهم بل ازداد مقتاً لهم وعشقاً لها ، لأنّ حاله هذه تشبه حال الواثق الذي ردّ كيد الوشاة ضدّ وزيره ونديمه بهذا البيت الذي يعبّر عن ميوله الشعرية ، وفي ذات الوقت يخدم هدفه الذي يريد إيصاله لبطانته .[٥٠]

***

***

(٥٠) زهر الآداب : القيرواني – ٩٥٢/٤ .

وأمّا من حيث إنشاء النثر :-

فلم تكن بلاغة الخلفاء العباسيين المنبثقة عن ثقافتهم مقتصرة على حفظ الشعر الجيد و التمثل به ، إنما تجلت ثقافتهم أيضاً في قول النثر البليغ ، ومن إنشائهم الخاص ، فقد كثرت العبارات الفصيحة المعبرة في أقوالهم حسب المواقف المتعددة ، ولا غرو في ذلك فقد كانوا جميعا أهل بيان وفصاحة وبلاغة ، بيد أنها قد اتضحت عند البعض منهم أكثر من البعض الآخر ، لأسباب عدة تأتي في مقدمتها الموهبة وسعة الأفق وعمق الثقافة وعشق الأدب وبلاغة البلغاء .

ولعل أبرز هؤلاء الرشيد الذي تشهد له جميع المواقف و المناسبات أنّ له أقوالاً ما زال يحتفظ بها التاريخ بين سجلاته ويعتزّ بها . منها وصيته للأحمر اللغوي مؤدب ولده الأمين حيث قال له : ((إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه ، فصيّر يدك عليه مبسوطة ، وطاعتك عليه واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن ، وعرّفه الآثار ، وروّه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصّره مواقع الكلام وبدئه ، وامنعه الضحك ، إلا في أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلو إليه ، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ، ولا تمرنّ به ساعة إلا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده إياها ، من غير أن تخرفه فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مساءته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقوّمه ما استطعت بالقرب و الملاينة ، فإن أبى فعليك بالشدة و الغلظة)) . [1]

ومن الروايات التاريخية التي تروى عن الرشيد وتبين بلاغته النثرية إضافة إلى ثقافته الشعرية وسرعة بديهته الفكرية ، ما كان بينه وبين أحد أبناء عمه وهو عبد الملك بن صالح [2] وكان ينافس على الخلافة حيث عرف برفعة القدر و المروءة والفصاحة ، وحينما دخل على الرشيد قال له الرشيد متهماً ومتهدداً متمثلاً بالشعر أولاً :

---

(1) مروج الذهب : للمسعودي – ٣/٢٧٠ .

(2) زهر الآداب : للقيرواني – ٣/٧١٤ .

أريدُ حياته ويريدُ قتلي

عذيرك من خليلك من مُرادِ [٦٣]

ثم أكمل نثراً فصيحاً من إنشائه الخاص قائلاً : « أما والله كأني أنظر إلى شؤبوبها [٦٤] قد همع [٦٥] ، وعارضها قد لمع ، وكأني بالوعيد قد أورى [٦٦] بل أدمى ، فأبرز عن براجم [٦٧] بلا معاصم ، ورؤس بلا غلاصم [٦٨] ، فمهلاً بني هاشم، فبي والله سهل بكم الوعر ، وصفا لكم الكدر ، وألقتْ إليكم الأمور أثناء أزمتها ، فنذار لكم نذراً قبل حلول داهية خيوط باليد و الرجل » .

ولا شكّ أن ثقافة الرشيد الشعرية التي تستطيع أن تمدّه بهذا الفيض من الاستشهادات ـ التي زخرت بها كتب الأدب ومصادر التاريخ ـ في اللحظة المناسبة، هي ثقافة لا يستهان بها ، بل نجد أن لها مظاهر متعددة ، فقريب من مظهر التمثل البدهيّ السابق ، نجد « تبادل التمثل بالشعر » ، وإن كان هذا التبادل أبعد مرمى وأوسع ميدانا لأنه يفترض مبادرة يحفزها التّحدي ، يفترض ثقافة مماثلة مع من يحاور الرشيد ، وهذا يحملنا إلى وجه من وجوه أدب البلاط يقوم على اعتماد الشعر حجة على خصم أو تمهيداً أمام رغبة [٦٩] .

والنماذج على ذلك عديدة جليّة ، لعل أبرزها ذلك الحوار البليغ بين أمير المؤمنين هارون الرشيد ومرضعته أم جعفر بن يحيى بعد أن حبس زوجها وقتل ابنها ، حيث جاءت إلى قصر الرشيد تشفع لزوجها يحيى وتلحّ في ذلك محاولة أن تستدر عطف الخليفة لما بينهم من سابق عشرة ومودّة ، فاستقبلها الرشيد باحتفاء ثم أجلسها معه ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أيعدو علينا الزمان ، ويجفونا خوفاً منك الأعوان ، ويحرك عنا البهتان ، وقد ربيتك في حجري وأخذت برضاعك الأمان

---

(٦٣) عذيرك : اطلب من يعذرك .
(٦٤) الشؤبب : الدفعة من المطر .
(٦٥) همع : سال وصب .
(٦٦) من قولهم : أورى الزند . أي قدحه فأخرج نارا .
(٦٧) البراجم : الأصابع .
(٦٨) الغلاصم : جمع غلصمه وهى الموضع الناتيء في الحلق .
(٦٩) انظر : ديوان الرشيد : د. سعدي ضناوي ـ ص ٥٧ .

من عدوي ودهري ؟ فقال لها : وما ذلك يا أم الرشيد ؟ ، قالت :ظنرك يحي وأبوك بعد أبيك ، ولا أصفه بأكثر مما عرفت به من نصيحته وإشفاقه عليك ، وتعرضه للحتف في شأن موسى أخيك ، قال لها : يا أم الرشيد : أمر سبق وقضاء حُمّ ، وغضب من الله نفذ ، قالت : ((يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)) ، قال : صدقتِ ، فهو مما لم يمحه الله ، فقالت : الغيب محجوب عن النبيين ، فكيف عنك يا أمير المؤمنين ؟ ' فأطرق الرشيد ملياً ، ثم قال :

وإذا المنية أنشبتْ أظفارَها ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

فقالت بغير رويّة : ما أنا ليحيى بتميمة ، وقد قال الأول :

وإذا افتخرتْ إلى الذخائرِ لم تجدْ ذخراً يكون كصالحِ الأعمالِ

هذا بعد قول الله عز وجل : ((والكاظمين الغيظ و العافين عن الناس و الله يحب المحسنين)) . فأطرق هارون ملياً ، ثم قال :-

إذا انصرفتْ نفسي عن الشيء لم تكدْ إليه بوجهٍ آخر الدهر تُقبلُ

فقالت : يا أمير المؤمنين أقول :

ستقطعُ في الدنيا إذا ما قطعتني يمينَك ، فانظرْ أيَّ كفّ تبدّلُ

قال هارون : رضيتُ ، قالت : فهبه لي يا أمير المؤمنين ، فقد قال الرسول الله : ((من ترك شيئا لله لم يوجده الله فقده)) فأكبّ هارون مليّاً ، ثم رفع رأسه يقول : لله الأمر من قبل ومن بعد . قالت : يا أمير المؤمنين ، ((ويومئذ يفرح المؤمنين بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم)) . واذكر يا أمير المؤمنين أليّتك : ما استشفعت إلا شفعتني . قال : واذكري يا أم الرشيد أليّتك أن لا شفعت لمقترف ذنباً)) [٣٠] .

---

[٣٠] العقد الفريد : ابن عبد ربه – ٦٣/٥ .

فهذه الحادثة التاريخية المهمة تكشف لنا بديهة الرشيد القوية في الردّ من كتاب الله الكريم ثم من الشعر العربي القديم الجزل ، المعبّرة عن الموقف الحرج الذي وقف فيه مع أمه من الرضاع ، فهو أراد أن يشير إلى حتمية ما حصل وكونه أمراً مكتوباً لا عودة عنه ، مما يدل على قوة شخصيته وعمق ثقافته الدينية والأدبية . فقد جمع هنا بين التمثل بالشعر والاستشهاد بالقرآن الكريم والبلاغة في النثر .

كما نجد للخلفاء العباسيين الأوائل أقوالاً نثرية بليغة أشبه بالحكم التي تبقى على مر الأزمان ، وتؤثر في سامعيها ، وتدل على فصاحة قائليها ، وهي نماذج عديدة لجميع هؤلاء الخلفاء ، إلاّ أن بعضهم يفوق بعض حيث نجد للرشيد رصيداً ملحوظاً من الكلام البليغ المعبّر و الحكمة المؤثرة ، في عبارات موجزة فصيحة ، كقوله لبنية : « ما ضرّ أحدكم لو تعلم من العربية ما يصلح به لسانه ؟ أيسرّ أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده وأمته ؟ » . [٧١]

ورغم أن هذا الكلام موجّه خصيصاً لأبنائه إلاّ أنه يوجّهه بصفة عامة إلى كل من أراد الفصاحة وامتلاك زمام البلاغة لكي لا يتساوى في مرتبته مع الجاهل والأمي والمولدّ و الأعجمي .

كما قال عن عمرو بن مطرّف وهو أحد الأئمة الوعّاظ الصالحين حينما توفي، وصلّى عليه بمكة : « يرحمك الله ، فما عرض لك أمران : أحدهما لله ، والآخر لك ، إلاّ اخترت ما هو لله على ما هو لك » . [٧٢]

---

[٧١] صبح الأعشى : للقلقشندي – ١٦٨/١ .
[٧٢] الفهرست : لابن النديم – ص ١٢٧ .

فهذا القول البليغ للرشيد ما هو في واقعه إلا حكمة دينية من المفروض أن يطبقها كل مسلم ومسلمة وهي تقديم رضا الله على رضا الذات ورضا الناس في جميع الأحوال .

كما قال في معرض حكمه السياسيّة وإن كانت خلاصة تجربة إنسانية عامة : « إياكم و الدّالّة فإنها تفسد الحرمة ، ومنها أتي البرامكة » [٧٣] .

فالرشيد يقدم لمستمعيه حكمة نفسية بليغة تتلاءم مع طبيعة النفس البشرية التي تكره أن يدلّ عليها أي شخص بخير منّ به عليه فيعطي نفسه أكبر مما يستحق، وضرب مثلا لذلك في جانب السياسة وهو دالة البرامكة على الرشيد بما فعلوه له من مناصرة وتأييد مما جعلهم يضعون أنفسهم في مقام أكبر مما ينبغي فكانت نقمة الرشيد عليهم .

***

أما سلفه وجده المنصور فلم يكن يقل عن الرشيد فصاحه ولا بلاغة وكان يأتي بعده في كمية النصوص التي أوردتها التاريخ والأدب ، ولكن كانت نصوصه البليغة التي حفظت عنه ذات طابع سياسي - لأنه كان مؤسس الدولة الحقيقي - تنمّ عن بعد ثقافي ووعي فكري وترتيب منطقي .

ومن تلك النماذج قوله في نصيحة لابنه المهدي : « لا تبرم أمراً حتى تفكر فيه فإنّ فكرة العاقل مرآة تريه حسناته وسيئاته ، واعلم أن الخليفة لا تصلحه التقوى، والسلطان لا تصلحه إلا الطاعة ، و الرعية لا يصلحها إلا العدل ، فلي الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه » [٧٤] .

---

[٧٣] زهر الآداب : للقيرواني – ٢٥٨/١ .

[٧٤] مقالات الأدباء ومناظرات النجباء : لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل / ص ١٧٠ .

فهذا النص الفصيح عبارة عن حكم سلطانية متتابعة ، أراد بها المنصور نصح ولي عهده بخلاصة خبرته في السياسة و الحكم ، وهي كنوز باقية لكل من تولى الرعية .

كما نجد للمنصور نصاً بليغاً آخر يدل على عمق تفكيره وبعد نظرته وطول تفكرّه وتدبّره ، وثقافته التاريخية ، وحياديته في الرأي السياسي ، ولا عجب في ذلك فهو المؤسس الحقيقي لدولة بني العباس ، حيث قال لأصحابه : ((أخبروني عن صقر قريش ، من هو ؟ قالوا : أمير المؤمنين الذي راض الملك ، وسكّن الزلازل ، وحسم الأدواء ، وأباد الأعداء ، قال : ما صنعتم شيئاً . قالوا : فمعاوية ، قال : ولا هذا ، قالوا : فعبد الملك بن مروان . قال : ولا هذا ، قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟ قال : عبد الرحمن بن معاوية ، الذي عبر البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلداً أعجمياً مفرداً ، فمصّر الأمصار ، وجنّد الأجناد ، ودوّن الدواوين ، وأقام ملكاً بعد انقطاعه ، بحسن تدبيره ، وشدّه شكيمته . أما معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان وذللا له صعبه ، وعبد الملك ببيعة تقدم له عقدها ، وأمير المؤمنين بطلب عشيرته واجتماع شيعته ، ولكن عبد الرحمن منفرد بنفسه ، مؤيّد برأيه ، مستصحب لعزمه)) .[٣٠]

فهذا النص اعتمد فيه المنصور على أسلوب الموازنة و المقارنة في إثبات نظريته السياسية ، كما أورد الأدلة و البراهين على صحة رأيه ، وكأنه يبيّن مواصفات القائد الفذ الذي قلما يجود به الزمان ، حتى أنه فضله على نفسه وهو الخليفة القوي الذي أسس دولة العباسيين ، وهذا هو سرّ إعجابه به .

ورغم قوة النص معنوياً ، إلا أنه استوفى العناصر الفنية الواجب توافرها في النصوص البليغة ، كالجناس اللفظي المنتشر في ثنايا النص في قوله : مصّر الأمصار ، وجند الجنود ، ودوّن الدواوين . وكذلك الازدواج الذي زاد النص بلاغة

---

(٣٠) المصدر السابق – ٤٤٢/٥ .

وتأثيرا مثل قوله : منفرد بنفسه ، مؤيّد برأيه ، مستصحب لعزمه . كما أن هذا النص رغم أن هدفه معنوي بيد أنه لم يخلو من تصوير فني أضاف إلى المعنى حسناً، وأظهر قائله بمظهر الأديب الذي يملك زمام الفصاحة ، مثل قوله : إن معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر و عثمان وذللا له صعبه .

وكان أبو جعفر يكرر دائماً في عبارات بليغة مؤثرة « من صنع مثلما صنع إليه فقد كافأ ، ومن أضعف كان مشكوراً ، ومن علم أن ما صنع فبالي نفسه صنع ، لم يستبطئ الناس في شكرهم ، ولم يستزدهم في مودتهم ، فلا تلتمسْ من غيرك شكر ما أتيته إلى نفسك ووقيت به عرضك ، واعلم أنّ الطالب إليك الحاجة لم يكرم وجهه عن مسألتك ، فأكرمْ وجهك عن ردّه » . [٧٦]

فكل هذه العبارات الفصيحة التي صاغها المنصور في قالب الحكمة ، التي رغم كونها تدور في فلك الحكم و السلطان ، بيد أنها تعطي أيضاً الفائدة العامة التي هي خلاصة تجارب النفس الإنسانية ، لا سيمّا إذا كان القائل شخصاً عركته الحياة وعركها ، واكتشف خبايا النفوس الإنسانية .

***

وكذلك نجد للخليفة المهدي نصوصاً بليغة لكنها تمتاز بالقصر وتختص بحكم سياسية تنمّ عن حنكة وفصاحة وبيان وحسن تدبير معاً ، حيث ورد عنه أنه قال لأحد البلغاء الكرام ويدعى أبو عبيد الله معاوية بن يسار بعد أن قتل ابنه على الزندقه : « لا يمنعك ما سبق به القضاء في ولدك من ثلج صدرك وتقديم نصحك ، فإني لا أعرض لكِ رأياً على تهمة ، ولا أوخر لك قدماً عن رتبه » . فرد عليه معاوية بن يسار قائلاً : « يا أمير المؤمنين ، إنما كان ولدي حسنة من نبْت إحسانك

---

[٧٦] كتاب التاج في أخلاق الملوك : للجاحظ – ص ١٢٠ .

أرضُه ، ومن تفقدك سماؤه ، وأنا طاعة أمرك ، وعبد نهيك ، وبقية رأيك لي أحسن الخلف عندي » . [٧٧]

فالمهدي ينافس بن يسار المشهور له بالبلاغة وقوة البيان ، ويقف معه على قدم المساواة ، وأمامنا النص الذي لا ينقص في مستواه الفني عن مستوى صاحبه ، فالفكرة الإبداعية المتداولة بين الإثنين تتناقض في مستواها الراقي عند القائلين ، فالمهدى لا يريد أن يخسر شخصاً قديرا في كرمه وحسن بيانه كابن يسار لا سيّما وقد اغتال فلذة كبده لسبب سياسي لا شخصي ، وهذا الأخير بدوره يقدر الظرف الذي دعا ولي أمر المسلمين إلى ارتكاب هذا المحظور الذي لابدّ منه للمصلحة العامة .

أما من حيث الشكل فالنصين يقفان جنبا إلى جنب في المضمار البياني حيث اعتمدا أسلوب الازدواج الجمالي الذي يرتقي فوق أسلوب السجع ويطو على الأسلوب السهل المكرر .

وكان المهدي يحتجب عن الندماء تقليداً لوالده المنصور إلا أنه ظهر لهم ، فلما أشار عليه أحد خاصته أن يحتجب عنهم ، ردّ عليه قائلاً : « إليك عني يا جاهل ، إنما اللذة في مشاهدة السرور وفي الدنوّ ممّن سرني . فأما من وراء ، فما خيرها ولذتها ؟ ولو لم يكن في الظهور للندماء و الإخوان إلا أني أعطيهم من السرور بمشاهدتي مثل الذي يعطوني من فوائدهم ، لجعلتُ لهم في ذلك حظاً موفوراً [٧٨] . فكلام المهدى هنا إضافة إلى بلاغته ، فإنه يكشف عن شخصيته العاشقة للأدب المحبة للأدباء .

****

---

[٧٧] زهر الآداب : القيرواني – ٣/٧٦٤ .
[٧٨] التاج في أخلاق الملوك : للجاحظ - ص ١٢١

ومما لاشكّ فيه أن «المأمون» كان رائداً من رواد البلاغة وممتلكاً لأصول البيان والفصاحة ، وأقواله البليغة المنثورة منتشرة في العديد من حواراته الأدبية والدينية والسياسية ، نصطاد منها بعض الأقوال التي تركت أثراً عميقاً في الأدب والحكم ، مثل قوله في العفو عند المقدرة : «القدرة تذهب الحفيظة ، و الندم توبة ، وبينهما عفو ، وهو أكبر ما نسأله» . [79]

كما أورد القيرواني تحت عنوان : من كلام الملوك الجاري مجر الأمثال ، مقولة بليغة حكيمة لهذا الخليفة وهي : «الملوك ، تحتمل كل شيء إلا ثلاثاً : إفشاء السر ، و القدح في الملك ، و التعرض للحُرم» . [80]

ومن بلاغته وحكمته في أصول الحكم و السلطان وتعاملها مع الرعية ، إلى تصنيفه الإخوان و الأصدقاء لأصناف يوردها في قوله الموجز البليغ : «الإخوان على ثلاث طبقات : فإخوان كالغذاء لا يستغنى عنهم ابداً وهم إخوان العلماء ، وإخوان كالدواء يحتاج إليهم في بعض الأوقات وهم الفقهاء ، وإخوان كالداء لا يحتاج إليهم أبداً وهم أهل الملق و النفاق لا خير فيهم» . [81]

فهذه الفلسفة الإنسانية البليغة للمأمون التي تصنّف الأصدقاء حسب أهميتهم وفائدتهم تدلنا على عمق وعي هذا الخليفة وفراسته في معرفة بطانته وجلسائه ، وإن أطلق عليهم كلهم لقب «إخوان» تأدباً ، لهي من قواعد الصداقة الحقة . وهكذا نرى جميع أقواله يغلب عليها الإيجاز في اللفظ و السهولة في المعنى بيد أنها سهولة ما يسمى في علم البلاغة «بالأسلوب السهل الممتنع» . الذي لا يقدر عليه أي أحد مثل هذا النص البليغ الذي يبيّن معاناة الملوك الخفية التي لا يستطيع الفرد من الرعية الاطلاع عليها ، وذلك بنفس الأسلوب السهل الممتنع الحافل بالحكمة ، حيث يقول : «لا يستطيع الناس أن ينصفوا الملوك من وزرائهم

---

[79] تاريخ الطبري – ٦٠٤/٨ .
[80] زهر الآداب – ٢٥٨/١ .
[81] الأغاني : الأصفهاني – ١٠٧/١٣ .

يستطيعون أن ينظروا بالعدل بين الملوك وحُماتهم وكُفاتهم ، وبين صنائعهم وبطانتهم . وذلك أنهم يرون ظاهر حرمة وخدمة ، واجتهاد ونصيحة ، ويرون إيقاع الملوك بهم ظاهراً ، حتى لا يزال الرجل يقول : ما أوقع به إلا رغبة في ماله ، أو رغبة في بعض مالا تجود النفس به ، ولعل الحسد و الملالة وشهوة الاستبدال اشتركت في ذلك .

وهناك خيانات في صُلب الملك ، أو في بعض الحُرم ، فلا يستطيع المَلِكُ أن يكشف للعامة موضعَ العورة في المُلك ، ولا أن يحتج لتلك العقوبة بما يستحق ذلك الذنب ، ولا يستطيع الملك ترك عقابه لما في ذلك من الفساد ، على علمه بأن عُذره غير مبسوط للعامة ، ولا معروف عند أكثر الخاصّة)) . (٨٢)

ومن مواقف الحياة السياسية التي تبرز شخصية المأمون الأدبية وموهبته البلاغية ، ردّه على رقعة متظلم كان في حبس كتبها إليه لما طال حبسه : ((أغفلتَ يا أمير المؤمنين أمري ، وتناسيتَ ذكري ، ولم تتأمّلْ حُجّتي وعُذْري ، وقد ملّ صبري الصبر ، ومسّني من حبسك الضُّرّ)) .

حينئذ أجابه المأمون بقطعة أدبية هي الغاية في البلاغة وجمال الأسلوب تضجّ ـ رغم قصرها ـ بالصور البيانية الفنية ، مثل قوله : ((ركوبك مطيّة الجهل)) حيث جعل الجهل وهو المعنوي مطيّة محسوسة يمتطيها الراكبون ، لكي يوضح للمتظلم خطأه الفادح الذي أودى به إلى هذا العقاب ، كما استخدم المأمون أيضاً أساليب البديع عن طريق استخدام أساليب المقابلة بين الجمل ، مثل : نقلك من سعة الدنيا إلى قبور الأحياء . ومن جهل الشكر على المنن ، قل صبره على المحن . وكلها عبارات حكيمة قوية التأثير في النفوس . حيث كتب المأمون (٨٣):

((ركوبُك مطيّةَ الجهل ، صيّرك أهلا للقتل ، وبغْيك عليّ وعلى نفسك، نقلك عن سَعةِ الدنيا إلى قبر من قبور الأحياء ، ومَن جَهل الشكر على المِنن ، قلّ صبره على المحن ، فاصبر على عواقب هفواتك ،

---

(٨٢) البيان و التبيين : للجاحظ ـ ٣٧٧/٣ .
(٨٣) جمهرة رسائل العرب : ٤٤١/٣ .

ومُوبِقات زَلاتك ، على قدر صبرك على كثير جناياتك ، فإن حصل في نفسك كفٌّ عن معصيتي ، وعزم على طاعتي ، وندمٌ على مخالفتي ، فلن تعدم مع ذلك جميلا من نيّتي)) .

***

ومن ينقب في مصادر التاريخ و الأدب يجد أن جميع خلفاء بني العباس كانوا من أصحاب البيان وأرباب الفصاحة و البلاغة ، حتى من كان منهم اهتماماته عسكرية حربية مثل السفاح على أساس أنه مؤسس الدولة الأول ، و المعتصم الذي اشتهر ببطولاته الحربية وميله إلى أمور الجند و العسكر ، ولكن يجب أن نقرّ أنهم رغم ذلك كانوا مقلين وذلك لظروف متعددة منها : أنهم أقصر مدة من غيرهم وابتعاد اهتماماتهم عن مجال الأدب فقد اشتهر عن المعتصم أنه أمي و السفاح الذي شغلهُ قيام دولة بني العباس عن جلسات الأدب . لذلك فإننا نرى بلاغاتهم تظهر في المجال السلطاني و الجهادي ، أكثر من ظهورها في المجال الأدبي و البلاغي ، كقول السفاح : ((إن من أدنى الناس ووضعائهم من عدّ البخل حزماً ، والعفو ذلاً)) . كما كان يقول : ((إذا كان الحلم مفسدة كان العفو معْجزة ، والصبر حسن إلاَّ على ما أوقع بالدين ، وأوهى بالسلطان ، والأناة محمودة إلاَّ عند إمكان الفرصة)) . [84]

فكل هذه العبارات البليغة الموجزة التي نطق بها السفاح العباسي إنما هي بمثابة الحكم العميقة التي تفيد أول ما تفيد في مجال الحكم و السلطان ، كالدعوة إلى الصفات القيادية العظيمة مثل : العفو عند المقدرة ، وأن الحلم سيّد الأخلاق ، وأن في التأني السلامة وفي العجلة الندامة ، ولكن لم ينس أن ينبه على أن كل هذه الفضائل لها سلبياتها إذا كانت في غير ميقاتها و مواضعها .

---

[84] زهر الآداب : للقيرواني – ١/٢٥٧ .

أما المعتصم الذي أقرّ هو ذاته بأميّته ، رغم أنه كان يكتب خطاً ضعيفاً ، إلاّ أنه كان مفوّهاً . أي فصيحاً في نطقه بليغاً في قوله ، يغلب عليه الأسلوب الجزل الموجز الذي يصل لمرتبة عالية من الجمال الفني .

نرى ذلك يتمثل في حواره مع الشاعر إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وقد خلا ، وعنده جارية تغنّيه ، وكان معجباً بها ، فقال له : كيف تراها يا أبا إسحاق ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، أراها تقهره بحذق ، وتختله برفق ، ولاتخرج من حسن إلاّ بأحسن منه ، وفي حلقها شذور نغم ، أحسن من دوام النعم)) .

فقال المعتصم : ((يا أبا إسحاق ، هنّ غايات الأمل ، ومنسيات الأجل ، والسقم الداخل ، والشغل الشاغل ، وإنّ صفتك هذه لو سمعها من لم يرها لفقد لبّه وقضى نحبه)) . [٨٥]

فهذا الحوار الطريف بين المعتصم وأحد بلغاء عصره شعراً ونثراً ، حول إحدى القيان المشهود لها بجمال الشكل و الصوت ، يدل أن هذا الخليفة قد أوتي حظه من بلاغة القول ، لاسيمّا حينما كان الحوار حول موضوع قد لاقى هوى في نفسه .

كما نجد للمعتصم بعض الأقوال التي تتسم بالحكمة والإيجاز معاً ، مثل قوله : ((إذا نصر الهوى بطل الرأي)) . [٨٦]

فهو يدعو هنا إلى اعتماد الرأي المتعقل البعيد عن العاطفة التي تنأى به عن جادة الحق و الصواب . وهذا رأي حكيم قد يكون استفادة من ممارسة الحكم والسلطان المطالب بحياد الرأي دائماً وأبداً في جميع الأحوال و الأمور .

***

---

(٨٥) المصدر السابق – ٦٤٧/٣ .
(٨٦) المصدر السابق – ٢٥٨/١ .

وبعد : فهذه نماذج بارزة مضيئة تبرهن بثبات ويقين على القدرات النقدية والبلاغية لدى خلفاء العصر العباسي الأول و التي ظهرت لنا في مواضع عدة ، لاسيّما وهم حملة لواء الفصاحة و البلاغة إبان ذاك الزمان ، مما انعكس على دعمهم لجميع جوانب الفكر والأدب و الشعر والبلاغة ، فقد كان عشقهم هذا ذاتي وغيري ، ذاتي تمثل في إبداعاتهم الشخصية ، وغيريّ ظهر في تشجيعهم للمبدعين الآخرين من شعراء وأدباء وعلماء ومفكري تلك الحقبة الزمنية المتميزة .

*****

***

*

ثبت مصادر البحث و مراجعه

١ أسد الغابة في معرفة الصحابة : لعز الدين ابن الأثير – دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت ١٤٠٩هـ.

٢ الإصابة في تمييز الصحابة : تأليف شيخ الإسلام وقاضي القضاة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن على الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر – طباعة دار الكتب العلمية : بيروت .

٣ الأغاني : لأبي فرج الأصبهاني – دار الثقافة : بيروت – ١٩٨٣م .

٤ الأمالي : لأبي علي اسماعيل بن القاسم القالي – مراجعة : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديد– منشورات دار الآفاق الجديد: بيروت

٥ بغداد في تاريخ الخلافة العباسية – تأليف : أبي الفضل أحمد بن طاهر المعروف بابن طيفور – مكتبة المعارف : بيروت – ١٩٦٨م .

٦ البيان و التبيين : لأبي عثمان بن بحر الجاحظ – تحقيق : عبد السلام هارون– الطبعة الرابعة – المجمع العلمي العربي الإسلامي : بيروت .

٧ التاج في أخلاق الملوك : لأبي عمرو بن بحر الجاحظ – تحقيق وتعليق د. عمر الطبّاع – دار الأرقم للطباعة و النشر : بيروت .

٨ تاريخ آداب اللغة العربية : تأليف جرجي زيدان – منشورات دار مكتبة الحياة : بيروت – ١٩٨٣م .

٩ تاريخ الأدب العربي : الأعصر العباسية : لعمر فروخ – دار العلم للملايين : بيروت – ١٤٠١هـ.

١٠ تاريخ الأدب العربي : العصر العباسي الأول : د. شوقي ضيف – الطبعة السابعة : دار المعارف – مصر .

١١ تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول : د. إبراهيم أبو خشب – دار الفكر العربي للطباعة و النشر : القاهرة – ١٩٦٦م .

١٢ تاريخ الخلفاء : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد – الطبعة الأولى ١٣٧١هـ - مطبعة السعادة – مصر .

١٣ تاريخ الرسل و الملوك : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري – دار الفكر بيروت – ١٤١٨هـ .

١٤ التيارات الأجنبية في الشعر العربي (منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري) : د. عثمان موافي – مؤسسة الثقافة الجامعية : الإسكندرية – مصر .

١٥ جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة : العصر العباسي – تأليف د. أحمد زكي صفوت – المكتبة العلمية – بيروت .

١٦ حديث الأربعاء:د. طه حسين – الطبعة الحادية عشر– دار المعارف – مصر

١٧ ديوان هارون الرشيد : جمع وتحقيق وشرح : د. سعدي ضناوي – دار صادر : بيروت ١٩٩٨م .

١٨ ذيل الأمالي والنوادر : لأبي علي إسماعيل القالي – مراجعة لجنة أحياء التراث العربي – دار الآفاق الجديدة : بيروت .

١٩ زهر الآداب وثمر الألباب : لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني – تحقيق د. زكي مبارك ومحمد محيي الدين عبد الحميد – الطبعة الخامسة : دار الجيل – بيروت – ١٤١٩ هـ .

٢٠ صبح الأعشى في صناعة الإنشا : للقلقشندي – وزارة الثقافة والإرشاد – المؤسسة المصرية العامة .

٢١ ضحى الإسلام : لأحمد أمين – الطبعة السادسة : مكتبة النهضة المصرية– ١٩٦٩م .

٢٢ طبقات الشعراء : لعبد الله بن المعتز – تحقيق : عبد الستار أحمد فراج – الطبعة الرابعة – دار المعارف : مصر – ١٩٨١م .

٢٣ العقد الفريد : لأبي عمر أحمد ابن عبدربه الأندلسي – دار الكتاب العربي : بيروت – ١٩٩٠م .
٢٤ عيون الأخبار : لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري – دار الكتاب العربي للنشر – بيروت .
٢٥ الفهرست : لابن النديم – دار المعرفة للطباعة و النشر : بيروت – توزيع دار الباز للنشر و التوزيع : مكة المكرمة .
٢٦ قصر المأمون وأثره على العصر : د. سامي عابدين – دار النهضة العربية للطباعة والنشر : بيروت – ١٤٢٢هـ .
٢٧ الكامل في التاريخ : لعز الدين أبي الحسن علي ابن الأثير – دار صادر – للطباعة و النشر – بيروت
٢٨ المحاسن والمساوىء:لإبراهيم بن محمد البيهقي–دار صادر: بيروت– ١٩٧٠م
٢٩ مروج الذهب ومعادن الجوهر : علي بن الحسن بن علي المسعودي : تحقيق : الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي – دار القلم : بيروت – ١٤٠٨هـ .
٣٠ مقالات الأدباء ومناظرات النجباء : لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل – دارسة وتحقيق : د. عبد الرحمن بن عثمان الهليل – مؤسسة الرسالة : بيروت ١٤٢١هـ .
٣١ موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي : د. محمد زكي العشماوي – دار النهضة العربية : بيروت – ١٩٨١م .
٣٢ نهاية الأرب في فنون الأدب : لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري– المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر .
٣٣ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي خلكان – تحقيق : د. إحسان عباس – دار صادر : بيروت .

تم بحمد الله تعالى